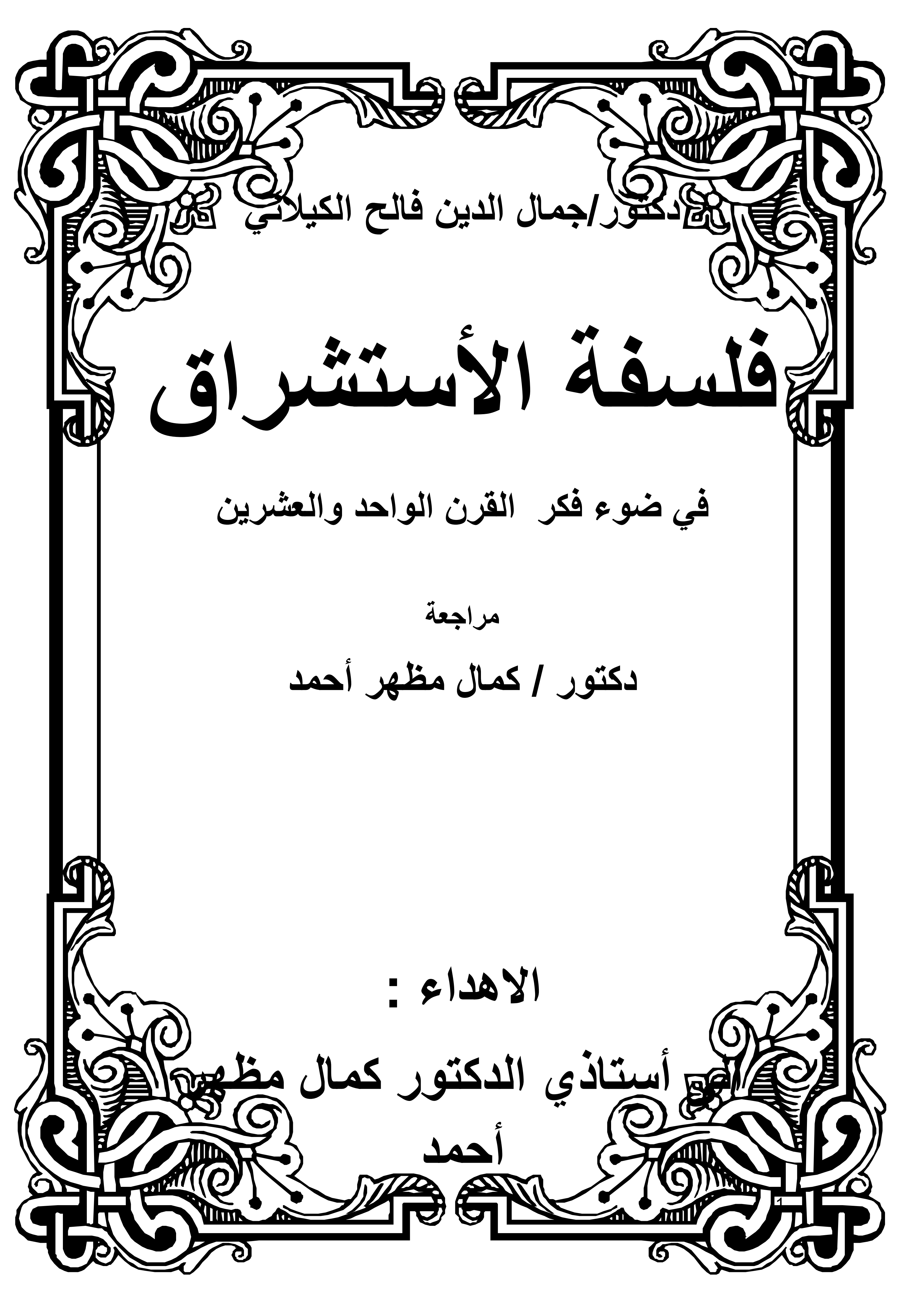


دكتور/جمال الدين فالح الكيلاني

فلسفة الأستشراق

في ضوء فكر القرن الواحد والعشرين

مراجعة

دكتور / كمال مظهر أحمد

الاهداء :

الى أستاذي الدكتور كمال مظهر أحمد

تحية ذكرى ووفاء

"جمال الدين"

(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

(سورة النحل : آية 125)

على سبيل التمهيد :

مصطلح الاستشراق اختلف بين المستشرقين الذين لهم دراية كبيرة في فلسفة هذا الميدان، وبين المتخصصين المسلمين الذين أبدوا اهتماماً واسعاً بالاستشراق خاصة بعد صدور كتاب العالم الامريكي-العربي-الفلسطيني: أدوار سعيد (الاستشراق) بطبعته العربية عام 1981، وإن كان اهتمام الباحثين العرب و المسلمين بالاستشراق لا يعود في بداياته إلى كتاب إدوارد سعيد وإنما سبق ذلك مقالة أنور عبد الملك (الاستشراق في أزمة)، والتي نشرت في مجلة ديوجين عام 1963، ومن ثم في (الجدلية الاجتماعية) في باريس عام 1971 ثم في مجلة الفكر العربي عام 1983، ودائماً قُدَّمَ الاستشراق، وهنا لم يتم الحديث إلا عن الاستشراق الأوروبي

الغربي، على أنه انتاج النظرة الأوروبية العنصرية تجاه الشرق، هذه النظرة التي تفترض حق الهيمنة والسيطرة على الشرق بداعي التفوق الأوروبي في الوقت الذي كان يعاني فيه من العجز نتيجة الاستعمار الأوروبي الغربي له، فقام المستعمِر بتوصيف المستعمرَ وإنشائه حسب مايحلو له ويخدم مصالحه، وكرس هذا الوصف في وعي الإنسان الأوروبي الغربي لأجيال عديدة.

يرى إدوارد سعيد الاستشراق أنه (أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي (أنطولوجي) ومعرفي (أبستمولوجي) بين الشرق ((وفي معظم الأحيان)) و((الغرب)) وبإيجاز، الاستشراق، كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه)([1]).

ويعزو أنور عبد الملك ازدهار الدراسات الشرقية إلى ارتباطها بالاستعمار الأوروبي وسيطرته على بلدان الشرق الأقصى والعالم العربي فيقول: (إن الازدهار الحقيقي للدراسات الشرقية في القطاعين الرئيسيين اللذين هما الشرق الأقصى والعالم العربي يعود تاريخه بالدرجة الاولى إلى عصر التمركز الاستعماري، وبشكل خاص إلى السيطرة الأوروبية على "القارات المنسية" في أواسط القرن التاسع عشر، ثم في ثلثه الأخير)([2]).

أما المستشرقون أنفسهم، فيرون أن الاستشراق تم بدافع الفضول المعرفي للشعوب الأخرى، فيرى مكسيم رودنسون أن الاستشراق كان يعبرعن الرغبة (في توسيع الفلسفة الإنسية (هيومانيزم) لعصر النهضة، ففي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، أرادوا أن يضيفوا إلى الحضارات النموذجية الكلاسيكية التي تستلهمها أوروبا حضارات أخرى)([3]). وهكذا أضافوا نماذج من الحضارات الشرقية، ولما أرادوا التوصل إلى معرفة تلك الحضارات معرفة علمية، نما الاستشراق وازدهر، ولكن إرادة المعرفة العلمية هذه بالحضارات الشرقية تمت عندما استطاع الغرب أن يغدو أقوى من الشرق، وبالتالي أصبح هذا الأخير موضوعاً مدروساً والغرب ذاتاً دارسة بعد أن أدرك الغرب تفوقه واختلفت العلاقات بين الشرق والغرب عما كانت عليه عندما كان الشرق مزدهراً والغرب يعاني من الضعف والانحطاط. وبالتالي فإن الاستشراق الغربي، ارتبط

بالمشروع الاستعماري الفرنسي ـ البريطاني، والذي أصبح الاستشراق وجهه الثقافي.
وعادة يؤرخ لهذا الاستشراق منذ القرن التاسع عشر، وعلى أبعد حد نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، لذلك نرى أن مصطلح (استشراق) ظهر لأول مرة في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام (1838م)، وظهرت كلمة (مستشرق) باللغة الإنكليزية حوالي عام (1779)م.([4])
ومن منطلق الهيمنة والوصاية التي نشأ في ظلها الاستشراق، من حيث هو الوجه الثقافي للمشروع الأوروبي الغربي الاستعماري فإن مهمة المستشرق الأوروبي كانت تكمن في (حجب الخطابات الشرقية ذاتها وإحلال خطاباتهم محلها، فهي وحدها المكلفة بتقديم صورة عن الشرق).([5]).
وبعد أن أدى الاستشراق الأوروبي الغربي مهامه، فإن مكسيم رودونسون يقترح التخلي عن استخدام مصطلحي ((استشراق)) و((مستشرقين)) بعد أن أصبحا أسطوريين، (ولذلك فسوف ندعوهما بالدراسات العالمة أو العلمية المتركزة حول تاريخ مجتمعات الشعوب المتموضعة شرقي أوروبا)([6]).
أما المستعرب الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي (1883 - 1951)، مؤسس الاستعراب الروسي الجديد فيتخلى عن مصطلح الاستشراق منذ البداية، ويسمى (الاستشراق الروسي)، بـ(الاستعراب الروسي).
فيقول (العصر الجديد في تاريخ الاستعراب الروسي، يبدأ من المرسوم الجامعي سنة 1804 لأن هذا المرسوم أدخل تدريس اللغات الشرقية في برنامج المدارس العليا وأسس الأقسام الخاصة لهذه اللغات، وأما اللغات الشرقية في أوروبا الغربية في ذلك الزمان، فقد كانت المكانة الأولى بين اللغات السامية اللغة العبرية، أما عندنا في روسيا، فاللغات الشرقية في مفهوم الروس، كانت لغات الشرق الإسلامي، وشغلت اللغة العربية المكانة الأولى وقد أُنشأ قسم اللغة العربية في جامعة خاركوف بعد صدور المرسوم في عام 1804 م مباشرة)([7]).

هذا في حين أن أتش. أي. أر. جب. العالم بالدراسات العربية الإسلامية المعروف كان يفضل أن يسمي نفسه (مستشرقاً) على أن يسمي نفسه مستعرباً.

وجغرافياً كان الشرق يمتد ليشمل، الهند، وجزر الهند الشرقية، والصين واليابان، وكل مايقع شرق الخط الذي يقسم العالم جغرافياً إلى قسمين شرق وغرب، ولكن في النهاية، كان يتم الحديث دائماً في الاستشراق عن الشرق العربي المسلم، الذي كان موضوع دراسة المستشرقين، وهذا هو الشرق الذي يعنينا في هذه الدراسة، وبالتالي، فإنه يصح لدينا استخدام مصطلح (الاستعراب)، لهذا الحقل من الدراسات التي تناولت الشرق العربي الإسلامي وتصح تسمية (المستعربين) للذين درسوا الشرق العربي ـ الإسلامي من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية، لأن (المستشرقين) كافة في نهاية المطاف، قد اختزلوا الشرق، بالعرب ـ المسلمين، الذين شكلت حضارتهم تحدياً وتهديداً للغرب الأوروبي الذي يُؤرخ لبدء الاستعراب الرسمي فيه بصدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام (1312م) والقاضي بتأسيس عدد من كراسي الأستاذية للغات (العربية واليونانية والعبرية والسريانية) في جامعات (باريس وأوكسفورد وبولونيا وأفنيون وسلامنكا) أي أن الاستعراب كان رسمياً بقرار كنسي، ومن أعلى سلطة دينية مسيحية في الغرب، وقد كان ذلك بعد الحروب الصليبية. كما نرى أن اللغات التي تقرر تدريسها، هي لغات الكتب السماوية الثلاث، إضافة إلى لغة الحضارة اليونانية التي تعتبر أوروبا نفسها الوارث الشرعي لها.

ولكن تنفيذ هذا القرار عملياً، لم يتم إلا بعد قرن من الزمان تقريباً (إذ لم تتوفر العناصر البشرية المنفذة، كما لم يتوفر المال اللازم لتحقيق الحلم)([8]). فحتى عام (1453م) لم يكن هناك مسيحي أوروبي واحد يعرف اللغة العربية.

إن دراسة الشرق العربي ـ المسلم، جاءت بقرار كنسي، ونتيجة من نتائج الحروب الصليبية، التي كانت أيضاً بقرار ديني ولئن كانت دوافع الدراسات العربية الإسلامية، في حقيقتها دوافع استعمارية، فإن هذه الدوافع انبثقت من رحم الحروب الصليبية، التي كانت أول

تجربة استعمارية خاضتها أوروبا خارج حدودها، حيث أسقط الغرب الأوروبي ضعفه على الشرق العربي الإسلامي، وحاول إيجاد حل لمشاكله المتفاقمة دينياً واجتماعياً واقتصادياً في هذه الحروب التي اجتاحت جيوشها الشرق العربي المسلم، فبعد أن تفشى الفساد في الكنيسة والمجتمع، رأى البابا أربان الثاني (1088 - 1099م)، أن من الضروري القيام بمغامرة مثيرة تضع العالم المسيحي بأجمعه أمام عمل وهدف مشترك، وكان خطابه في المجمع الكنسي في كليرمونت والذي دعاه لجلسة استثنائية في تشرين الثاني (1095م)، تعبيراً صريحاً عن الواقع المتصدع الذي يعيشه الغرب المسيحي، والرغبة الواضحة في وضع هذا الغرب أمام هدف عام واحد، فقد قال في خطابه أمام المجمع المذكور (انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد إخوانكم، ووجهوها ضد أعدائكم، أعداء المسيحية، إنكم تظلمون اليتامى والأرامل، وأنتم تتورطون في القتل والاغتصاب، وتنهبون الشعب في الطرق العامة، وتقبلون الرشاوى لقتل إخوانكم المسيحيين، وتريقون دماءهم، دونما خوف أو وجل أوخجل، فأنتم كالطيور الجوارح آكلة الجيف، التي تنجذب لرائحة الجيف الإنسانية النتنة، ضحايا جشعكم، انهضوا إذن، ولا تقاتلوا إخوانكم المسيحيين بل قاتلوا أعداءكم الذين استولوا على مدينة القدس، حاربوا تحت راية المسيح، قائدكم الوحيد، افتدوا أنفسكم، أنتم المذنبون المقترفون أحط أنواع الآثام وهذه ((مشيئة الله))([9]). وأربان الثاني هو خليفة البابا غريغوريوس السابع اليهودي الأصل، والذي هو صاحب فكرة الحملة الصليبية لتحرير القدس، والتي حدد فيما بعد البابا أربان الثاني موعدها يوم(15 آب 1096)، والنص السابق يعكس لنا مدى التفسخ الذي أصاب المجتمع الأوروبي والذي جعل من المسيح محارباً.

لقد كانت الحروب الصليبية حلاً للمشاكل التي عانت منها الكنيسة الغربية، في صراع البابا غريغوريوس السادس، والبابا غريغوريوس السابع مع الإمبراطورين هنري الثالث وهنري الرابع في ألمانيا وما تبع ذلك من نزاع وقتال عانت منهما الكنيسة والمجتمع معاً إضافة للدافع الأساسي الآخر لهذه الحروب وهو

(رغبة البابوية في إخضاع الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية لزعامتها) ([10]). وذلك بعد الانشقاق الديني سنة (1054م)، بين الكنيسة اللاتينية والكنيسة اليونانية، واستحكام النزاع بين الأباطرة البيزنطيين والبابوية في روما، يقول أرنست باركر ((وكان من الطبيعي أن يضحي الاستيلاء على بيت المقدس هدفاً لتحقيق أطماع المسيحية الغربية، ومن الطبيعي أن تتعلق به الكنيسة وتحاول أن تسير به قدماً، وذلك لحرصها على تحقيق حلمها بقيام كنيسة عالمية تخضع لسلطانها)([11])

إذن، تسيير الحملات الصليبية باتجاه الشرق العربي ـ الإسلامي، تحت ستار ديني، كانت غايته عمليّاً، البحث عن حل لمشاكل المجتمع الغربي المسيحي، وكذلك، إقامة كنيسة عالمية، بإخضاع الكنيسة الشرقية لسلطة روما، من خلال إيجاد هدف عام مشترك هو قتال المسلمين وتحرير بيت المقدس، وبالتالي فإن الحروب الصليبية في دوافعها وكذلك في أدواتها كانت أوروبية غربية، إذ تشكلت معظم جيوش تلك الحروب من فرنسا وإيطاليا واسكتلندا وألمانيا، بينما نرى أن أوروبا الشرقية قد عانت من هذه الحملات وهي تجتاح أراضيها متجهة إلى الشرق الإسلامي، فعندما زحفت فرقها خلال سهول هنغاريا، كانت تعمل السلب والنهب والاغتصاب، غير مبالية بديانة أصحاب البلاد، لقد كانت هذه الحروب هي التجربة الاستعمارية الأولى، التي خاضها الغرب لتحقيق المكاسب الآنفة الذكر، ومن هذه التجربة وهذه الحروب الاستعمارية انبثق الاستشراق الأوروبي الغربي، في الوقت الذي كانت فيه روسيا بعيدة عن هذه الحروب، وعن هذا السعي الاستعماري في الشرق العربي الإسلامي. لقد فوجئت الكنيسة الشرقية نفسها بهذا الزحف الغربي، إذ أن إمبراطور القسطنطينية (الكسي كومينين)، كان قد طلب إمدادات لمواجهة السلاجقة، ولكنه فوجئ بهذه الجيوش الجرارة، إذ أنه في الأساس لم تكن هناك مشكلة بين الكنيسة الشرقية والإسلام وكان الإسلام راعياً وحامياً للمسيحيين في دولة الإسلام، ولكن النزعة الأوروبية المركزية في السيطرة على الشرق العربي الإسلامي قد بدأت بالتشكل منذ ذلك الحين، إن المركزية الأوروبية

التي نما في حضنها الاستشراق الأوروبي الغربي بنيت على الفكرة الأساسية الصليبية، إذ سعت المسيحية الغربية إلى جعل نفسها مركز العالم، بإخضاع المسيحية الشرقية، وتوحيد الكنيستين ولو بالقوة، وبالتالي تحقيق عالمية الكنيسة، بإخضاع العالم كله لسلطة روما، يقول ريتشارد سوذرن (نحن في الواقع جزء صغير من المسيحية في العالم، لكننا نزعم أن العالم كله مرغم على اتباع آرائنا، ونزعم أيضاً، أن هذا العالم يرتعد تحت وطأة توجيهاتنا)([12]). لم تكن هناك مشكلة بين المسيحيين والمسلمين في دولة الإسلام، إذ كان (المسيحيون في بلاد الشرق يرون أن حكم المسلمين أخف وطأة من حكم بيزنطة وكنيستها).([13])

ولم تكن هناك مشكلة بين المسلمين والكنيسة الشرقية (البيزنطيين) في نفس الوقت، ولكن بعد الحروب الصليبية الأولى ميز العرب المسلمون بين المسيحية الشرقية التي كانوا يتعاملون معها، ولم تكن لهم معها مشكلة، وبين المسيحية الغربية التي جاءت غازية بجيوش جرارة، وبعد أن أدركوا غاياتها، وأن المسيحية الشرقية ليست سوى تبرير للحملات الصليبية الغربية أصبحوا يطلقون اسم (الافرنج) على المسيحية الغربية، تمييزاً لها عن (الروم)، هذه التسمية التي كانت تطلق على المسيحية الشرقية المجاورة جغرافياً، لتعم جميع المسيحية. إلا أن الوضع اختلف بعد الحملات الصليبية، وأدرك العرب المسلمون، أن المشكلة ليست مع (الروم) المسيحية الشرقية، وإنما مع (الإفرنج) المسيحية الغربية، وسوف نرى أن المستعرب كراتشكوفسكي فيما بعد، قد استخدم هذه المصطلح (الإفرنج) في حديثه عن أوروبا الغربية.

إن معرفة الغرب للشرق العربي الإسلامي تمت بأوسع صورها من خلال الحملات الصليبية، وبالتالي فإن الاستعراب الأوروبي الغربي، كان نتيجة من نتائج هذه الحروب، ولذلك نرى أنه من الضروري التمييز بين استعراب نشأ هذه النشأة الاستعمارية وبين استعراب لم يكن كذلك بالنسبة لروسيا وغيرها، حيث تختلف الدوافع والغايات، ولأن هذا التمييز هو الذي يحدد موقفنا من الاستعراب بجانبيه الشرقي والغربي خاصة وأن بعض المؤرخين يعتقدون بأن النزاع

الذي كان موجوداً بين القوتين الأعظم الكتلة الشرقية والكتلة الغربية له جذوره العميقة في النزاع بين الكنيستين في القرن الحادي عشر، ففي هذا القرن بدأ نشوء العالمين الشرقي والغربي (فلو نجحت الكنيسة اللاتينية في الإبقاء على كنيسة موحدة كاثوليكية حقيقية ومقبولة لدى الجميع، لكانت بلدان البلقان وروسيا الآن جزءاً من العالم الغربي فإن الانفصال بين روما والقسطنطينية لم يكن حدثاً محلياً، أو مجرد تاريخ من تواريخ الكنيسة، ولكنه كان حدثاً عالمياً هزَّ أركان العالم)([14]).

ونستطيع القول أن هدف الكنيسة الغربية، كان تحقيق عالمية العالم، ولو بالقوة من خلال الحروب الصليبية، ولعل العولمة الآن هي وجه آخر من وجوه هذا المشروع الموغل في القدم. .

إن إنشاء الشرق في ذهن الغرب، كان من خلال النتاج الفكري (الأدبي والتاريخي) الذي أعقب هذه الحروب، والذي امتزج فيه الواقعي بالوصف التاريخي الأسطوري لهذه الحروب، وبالتالي من الطبيعي، أن الاستشراق الأوروبي الغربي الذي ضربت جذوره في هذا النتاج الفكري، أن يكون محشواً بالمغالطات التي كرست فكرة التمايز بين الشرق والغرب فيما بعد والذي القى في ضلاله على العلاقة بينهما والتي استمرت حتى قرننا هذا (15).

([1]) ص 38 الاستشراق ـ إدوارد سعيد.

([2]) ص 71 الاستشراق في أزمة ـ أنور عبد الملك.

([3]) ص 86 مقالة مكسيم رودنون في (الاستشراق بين دعاته ومعارضيه)، هاشم صالح.

([4]) ص 88 مكسيم رودنسون.

([5]) ص 203 ـ الاستشراق بين دعاته ومعارضيه.

([6]) ص 113 ـ المصدر السابق.

([7]) تاريخ الاستعراب الروسي ـ كراتشكوفسكي فرالوفا.

([8]) ص 119 سوذرون ـ صورة الإسلام في أوروبا .

([9]) ص 244 بابوات من الحي اليهودي.

([10]) ص 22 تاريخ العلاقات بين المشرق والمغرب ـ عاشور.

([11]) ص 16 الحروب الصليبية ـ أرنست باركر.

([12]) ص 126 سوذرن.

([13]) قصة الحضارة ـ ول ديورانت.

([14]) ص 177 باباوات من الحي اليهودي.

([15]) فاطمة عبد الفتاح إضـــاءات على الاستشراق الروسي ،ص 12، بتصرف.

تعريفات:

الإستشراق تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم . ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته

وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة ، معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما .

-

بواكير الإستشراق:-

من الصعب تحديد بداية للاستشراق ، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين ، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري . وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول : حياة محمد . والثاني : حوار بين مسيحي ومسلم . وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين . وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية .

- وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية .

- لم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن

الثامن عشر ، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م ، وفي فرنسا عام 1799م كما ادرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م .

- قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة . ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية .

- وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماما حقيقيا بالحضارة الإسلامية وحاول أن يتعامل معها بموضوعية . وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال . ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم فصدر منهم ما لا يقبله المسلم . وهذا يعني أن أي تصنيف للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء . فقد يصدر ممن عرف عن الاعتدال قولا أو رأيا مرفوضا ، وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافا جميلا للإسلام ، ولهذا نتوقع أن تكون بعض الأسماء التي شملها تصنيفنا الآتي محل نظر .

غايات الاستشراق

البعد الديني :

-1 التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة

بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته .

2-التشكيك في صحة القرآن والطعن فيه ، حتى ينصرف المسلمون عن الاتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوته وتنأى بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي لهذا الدين (تنـزيل من حكيم حميد .

-3 التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني .

-4 النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى .

-5 إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر .

-6 العمل على تنصير المسلمين .

-7 الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم .

-8 لقد كان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية .

- البعد السياسي يهدف إلى :

-1 إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم .

-2 العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة .

3 -كانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها .

-4 في كثير من الأحيان كان المستشرقون ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي .

- البعد العلمي الخالص :

بعضهم اتجه إلى البحث والتمحيص لمعرفة الحقيقة خالصة ، وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه ، نذكر منهم :

-1 توماس أرنولد الذي أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام .

2-المستشرق الفرنسي رينيه فقد أسلم وعاش في الجزائر وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام مات في فرنسا لكنه دفن في الجزائر .

اساليب المستشرقين :

التلطف في دس السموم مع التدرج، وذلك بعد منافقة القارئ بكلمات معسولة كي يَركَن إليهم ومن وسائلهم: اللعب بالتاريخ، فيصححون الأخبار الكاذبة، ويطمسون الأخبار الصحيحة، ويضخمون الأخطاء الصغرى، وما أسهل تغيير مجرى التاريخ على قلم المؤرخ الكذوب! فقد جعل هؤلاء المتعصبون من التاريخ هواية يتم من خلالها التنفيس عن الأهواء والأحقاد الإيديولوجية. ومن وسائلهم: وضع الفكرة مقدَّماً ثم البحث عن أدلة تُعزّزها مهما كانت واهية، على أسلوب (محاكم التفتيش) حيث كانت توضع التهمة أولاً ثم تثبت بالشهود الذين ينوب عنهم التعذيب! وليس هذا الأسلوب غريباً عمن يكون شعاره: "اعتقد أولاً ثم افهم ما اعتقدت!" ومن وسائل هذه الفئة التعالم رغم الجهل الذي يقع فيه كبارهم، فأحد المستشرقين على سبيل المثال، فسر الآية الكريمة: "وترى الملائكة حافّين من حول العرش" بقوله "أي بدون أحذية!" ، وليس هذا غريباً فكثير من المستشرقين لا يفهمون أدب لغتهم فضلاً عن الأدب العربي. ويأبى هؤلاء رغم جهلهم بثقافة الإسلام إلا أن يستخدموا الإرهاب الفكري لإضعاف ثقة القارئ بنفسه كي يَسهُلَ قِياده

نماذج من شبهات المستشرقين والرد عليها

سنورد بعض الشبهات التي آثارها المستشرقون للطعن في الإسلام :

الشبهة الأولى:

من الشبهات التي رددها أذناب المستشرقين قولهم : " لو كانت السنة ضرورية لحفظها الله كما حفظ القرآن في قوله تعالى :{ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون } ، ولأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتابتها كما أمر بكتابة القرآن " .

وقولهم في الحديث الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم : - (ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه) ، : " لو كان هذا الحديث صحيحاً لما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة السنة ، ولأمر بتدوينها كما دون القرآن ، ولا يمكن أن يدع نصف ما أوحي إليه بين الناس بغير كتابة ، ولا يكون حينئذ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها ، ولماذا ترك الصحابة نصف الوحي ولم يدونوه ، فبإهمالهم له يصبحون جميعاً من الآثمين " .

الرد على هذه الشبهة و تفيدها :

إن الله عز وجل كما أراد لهذه الشريعة البقاء والحفظ ، أراد سبحانه أيضاً ألا يكلف عباده من حفظها إلا بما يطيقون ولا يلحقهم فيه مشقة شديدة ، فمن المعلوم أن العرب كانوا أمة أمية ، وكان يندر فيهم الكتبة ، وكانت أدوات الكتابة عزيزة ونادرة ، حتى إن القرآن كان يكتب على جريد النخل والعظام والجلود ، وقد عاش النبي - صلى الله عليه وسلم -بين أصحابه بعد البعثة ثلاثًا وعشرين سنة ، ولهذا كان التكليف بكتابة الحديث

كله أمراً في غاية الصعوبة والمشقة ، لأنه يشمل جميع أقواله وأفعاله وأحواله وتقريراته - صلى الله عليه وسلم - ولِما يحتاجه هذا العمل من تفرغ عدد كبير من الصحابة له ، مع الأخذ في الاعتبار أن الصحابة كانوا محتاجين إلى السعي في مصالحهم ومعايشهم ، وأنهم لم يكونوا جميعا يحسنون الكتابة ، بل كان الكاتبون منهم أفراداً قلائل ، فكان تركيز هؤلاء الكتبة من الصحابة على كتابة القرآن دون غيره حتى يؤدوه لمن بعدهم تامًا مضبوطًا لا يُنْقص منه حرف . ومن أجل ذلك اقتصر التكليف على كتابة ما ينزل من القرآن شيئاً فشيئاً حتى جمع القرآن كله في الصحف . وكان الخوف من حدوث اللبس عند عامة المسلمين فيختلط القرآن بغيره - وخصوصاً في تلك الفترة المبكرة التي لم يكتمل فيها نزول الوحي - أحد الأسباب المهمة التي منعت من كتابة السنة . ثم إنه لم يحصل لحفاظ السنة في عهد الصحابة ما حصل لحفاظ القرآن ، فقد استحرَّ القتل بحفاظ القرآن من الصحابة ، أما السنة فإن الصحابة الذي رووا الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا كثر ، ولم يحصل أن استحر القتل فيهم قبل تلقي التابعين عنهم . ومن الأسباب أيضاً أن السنة كانت متشعبة الوقائع والأحداث فلا يمكن جمعها كلها بيقين ، ولو جمع الصحابة ما أمكنهم فلربما كان ذلك سبباً في رد من بعدهم ما فاتهم منها ظناً منهم أن ما جمع هو كل السنة . ثم إن جمعها في الكتب قبل استحكام أمر القرآن كان عرضة لأن يُقبِل الناس على تلك الكتب ، ويدعوا القرآن ، فلذلك رأوا أن يكتفوا بنشرها عن طريق الرواية ، وبعض الكتابات الخاصة .

أضف إلى ذلك أن القرآن يختلف عن السنة من حيث أنه متعبد بتلاوته ، معجز في نظمه ولا تجوز روايته بالمعنى ، بل لا بد من الحفاظ على لفظه المنزل ، فلو ترك للحوافظ فقط لما أمن أن يزاد

فيه حرف أو ينقص منه ، أو تبدل كلمة بأخرى ، بينما السنة المقصود منها المعنى دون اللفظ ، ولذا لم يتعبد الله الخلق بتلاوتها ، ولم يتحداهم بنظمها ، وتجوز روايتها بالمعنى ، وفي روايتها بالمعنى تيسير على الأمة وتخفيف عنها في تحملها وآدائها . وقد بلَّغ - صلى الله عليه وسلم - الدين كله وشهد الله له بهذا البلاغ فقال سبحانه : {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ } ، ووجود السنة بين الأمة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم فيه أبلغ دلالة على تبليغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - إياها لأمته وبالتالي لم يضع نصف ما أوحاه الله إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - كما زعم الزاعمون - ، بل الجميع يعلم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتمتعون بحوافظ قوية ، وقلوب واعية ، وذكاء مفرط ، مما أعانهم على حفظ السنة وتبليغها كما سمعوها ، مستجيبين في ذلك لحث نبيهم - صلى الله عليه وسلم - لهم في الحديث الذي رواه الترمذي و غيره بقوله
(نضر الله امرءاً سمع مني مقالة فحفظها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع). فتم ما أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - من حفظ السنة وتبليغها ، ويكون بذلك - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ دين الله عز وجل كاملاً ولم ينقص منه شيئاً .

الشبهة الثانية:

و من شبهاتهم أيضا أن بين السنة والقرآن تعارضا في الكثير كما يزعمون أن السنة تتعارض فيما بينها ويرتبون على ذلك النتيجة التي قدموا لها بأنه لا داعي للأخذ بالسنة أي بالأحاديث النبوية .

الرد على هذه الشبهة :

إن علماءنا الأفاضل وقفوا أمام شبهة التعارض المزعومة هذه سواء كانت تعارضا مزعوما بين القرآن والحديث أو بين الأحاديث بعضها مع بعض ومن أمثلة التعارض الأول حسب زعمهم أي التعارض بين القرآن والسنة أن يأمر القرآن بقراءة ما تيسر من القرآن في الصلاة في قوله (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) ثم يقول الحديث النبوي : " لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب " فنقول ببساطة شديدة أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون تعارضا أبدآ و لكنه تخصيص للعام و هذا الأمر من بديهيات علوم الشريعة فأمر القرآن عام خصصته السنة النبوية ومثله قول القرآن (وأحل الله البيع وحرم الربا) فهو عام في كل أنواع البيع لكن يجئ الحديث النبوي ليخصص أنواعا بعينها بطريقة بعينها في البيع فيقول : " الذهب بالذهب مثلا بمثل ويدا بيد والفضل ربا ...إلخ " ولا تعارض لأن السنة وهى البيان التفصيلي لما يجمل في القرآن كما تصرح الآية (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

ومن النوع الثاني أي تعارض حديث مع حديث ما روى عن استحباب الوضوء بعد الأكل من طعام مسته النار مثل : من أكل لحم جزور فليتوضأ وتوضأوا فيما مست النار ثم جاء الحديث الآخر كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ترك الوضوء مما مست النار فلا تعارض هنا ولكن الحديث الأخير غير الحكم في الحديث الذي سبقه فهو ما يسميه علماء الحديث النسخ أي تغيير المتأخر للحكم المتقدم ولا تعارض فيه ومسائل كثيرة قد تحدث شبهة كاستثناء الخاص من العام كقوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) ثم يأتي الحديث ليقيد حج النساء باشتراط أن يكون مع المرأة محرم " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة

أيام فصاعدا إلا ومعها أبوها أو ابنها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها " فهذا استثناء للخاص من العام وأيضا لا تعارض فيه . فهذه المسائل وغيرها قد عنى بدراستها وتوضيح ما يصنع الشبهة فيها عنى بها علماء السنة وأفردوا لها التصانيف المختلفة التي حولتها من مواطن اشتباه أو مآخذ كما يتلمس الكارهون إلى حيث أصبحت جميعها مصدر سعة وثراء ورفع للحرج عن الإنسان في التشريع الإسلامي يحسب له ولا يعاب عليه .

الشبهة الثالثة

ومن الشبهات التي يرددها المستشرقين و أذنابهم هو ما فهموه من قوله تعالى{ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } ، وقوله سبحانه : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ }.

فقالوا : إن هذه الآيات وأمثالها تدل على أن الكتاب قد حوى كل شيء من أمور الدين ، وكلَّ حُكم من أحكامه ، وأنه بيَّن ذلك وفصَّله بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر ، وإلا كان الكتاب مفرِّطاً فيه ، ولما كان تبياناً لكل شيء ، فيلزم الخُلْف في خبره سبحانه وتعالى .

الرد على هذه الشبهة و تفنيدها :

وجواباً على هذه الشبهة يقال : ليس المراد من الكتاب في قوله تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } القرآن ، وإنما المراد به اللوح المحفوظ ، فإنه هو الذي حوى كل شيء ، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات كبيرها وصغيرها ، جليلها ودقيقها ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، على التفصيل التام ، بدلالة سياق الآية نفسها حيث ذكر الله عز وجل هذه الجملة عقب قوله سبحانه : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ } أي مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم

وأعمالكم كل ذلك مسطور مكتوب في اللوح المحفوظ لا يخفى على الله منه شيء .

وعلى التسليم بأن المراد بالكتاب في هذا الآية القرآن ، كما هو في الآية الثانية وهي قوله سبحانه : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ } فالمعنى أنه لم يفرِّط في شيء من أمور الدِّين وأحكامه ، وأنه بيَّنها جميعاً بياناً وافياً .

ولكن هذا البيان إما أن يكون بطريق النص مثل بيان أصول الدين وعقائده وقواعد الأحكام العامة ، فبيَّن الله في كتابه وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وحِلِّ البيع والنكاح ، وحرمة الرِّبا والفواحش ، وحِلِّ أكل الطيبات وحُرْمة أكل الخبائث على جهة الإجمال والعموم ، وتَرَك بيان التفاصيل والجزئيات لرسوله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا لما قيل لمُطَرِّف بن عبد الله بن الشِخِّير : " لا تحدثونا إلا بالقرآن قال : والله ما نبغي بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

وروي عن عمران بن حصين أنه قال لرجل يحمل تلك الشبهة : إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ، ثم عدد إليه الصلاة والزكاة ونحو هذا ، ثم قال أتجد هذا في كتاب الله مفسَّرا ، إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك "

وإما أن يكون بيان القرآن بطريق الإحالة على دليل من الأدلة الأخرى التي اعتبرها الشارع في كتابه أدلة وحُجَجاً على خلقه . فكل حكم بينته السنَّة أو الإجماع أو القياس أو غير ذلك من الأدلة المعتبرة ، فالقرآن مبَيِّن له حقيقة ، لأنه أرشد إليه وأوجب العمل به ، وبهذا المعنى تكون جميع أحكام الشريعة راجعة إلى القرآن .

فنحن عندما نتمسك بالسنة ونعمل بما جاء فيها إنما نعمل في الحقيقة بكتاب الله تعالى ، ولهذا لما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : " لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله " بلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه وقالت : إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت ، فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن هو في كتاب الله ، فقالت : لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول ، قال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأتِ { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } ؟! قالت : بلى ، قال : فإنه قد نهى عنه .

وحُكِي أن الشافعي رحمه الله كان جالساً في المسجد الحرام فقال : لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم فيه من كتاب الله تعالى ، فقال رجل : ما تقول في المُحْرِم إذا قتل الزُّنْبُور ؟ فقال لا شيء عليه ؟ فقال : أين هذا في كتاب الله ؟ فقال : قال الله تعالى : { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } ، ثم ذكر إسناداً إلى النبي في الحديث الذي رواه الترمذي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) ، ثم ذكر إسناداً إلى عمر رضي الله عنه أنه قال " للمُحْرِم قتل الزُّنْبُور " فأجابه من كتاب الله قال الإمام الخطابي رحمه الله " أخبر سبحانه أنه لم يغادر شيئا من أمر الدين لم يتضمن بيانَه الكتابُ ، إلا أن البيان على ضربين : بيان جَلِيّ تناوله الذكر نصاً وبيان خفِيّ اشتمل عليه معنى التلاوة ضمناً ، فما كان من هذا الضرب كان تفصيل بيانه موكولاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو معنى قوله سبحانه : { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } ، فمن جمع بين الكتاب والسنة فقد استوفى وجهي البيان " , وبذلك يتبين ضلال هؤلاء وسوء فهمهم وتهافت شبهاتهم ، وأنه لا منافاة بين حجية السنة

وبين كون القرآن تبياناً لكل شيء ، والحمد لله أولاً وآخراً .

<u>الشبهة الرابعه</u> :

ومن شبهاتهم أيضآ أن نقد المحدثين إقتصر على نقد الإسناد ولم يشمل نقد المتون

يقول غاستون ويت: "وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى السند ومعرفة الرجال والتقائهم وسماع بعضهم من بعض" ثم قال: "لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ثم جَمَعَهُ الحُفَّاظ ودوَّنُوه إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن لذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئا عن حسن نية في أثناء روايتهم الحديث".

<u>الرد على هذه الشبهة</u>:

لقد اهتم علماء الحديث اهتماما بالغا بدراسة متن الحديث واستوفوا تلك الدراسة وبذلوا قصارى جهدهم في العناية به بحيث لا يوجد مزيد على ما قدموه.

ولقد كان الهدف الذي يسعون إليه من دراسة الإسناد ونقده وهو تمييز صحيح الحديث من ضعيفة وحماية السنة من العبث والكيد كان ذلك مرتبطا ارتباطا وثيقا بنقد المتن، وقد بينا أن توثيق الراوي لا يتم إلا بثبوت عدالته وضبطه، وهذا الأخير إنما يعرف بمقارنة مرويات الراوي مع مرويات الثقات الآخرين.

ومن الثابت الذي لا جدال فيه عند المحدثين أن صحة إسناد الحديث لا تعني بالضرورة صحة الحديث لأن من شروط الصحيح ألا يكون شاذا ولا معللا والشذوذ والعلة يكونان في السند كما يكونان في المتن فقد يصح إسناد حديث ما ويكون في متنه علة قادحة تقدح في صحته وهكذا الشذوذ ولذا لم تكن دراستهم

قاصرة على الأسانيد وإنما بحثوا في علل المتون وشذوذها وجمعت أبحاثهم هذه في علل المتون والأسانيد في مصنفاتهم من كتب العلل وهي كثيرة.

ومن أجل ذلك نشأت علوم لا تكتفي بدراسة الإسناد بل تعني بدراسة الإسناد والمتن جميعا فمن ذلك: الحديث المقلوب، والمضطرب، والمدرج، والمعلل، والمصحف، والموضوع، وزيادة الثقة.

كما أنشئت علوم تتعلق بدراسة المتن خاصة من ذلك غريب الحديث، أسباب وروده، ناسخه ومنسوخة، مشكله، ومحكمه.

وفي هذا بذل المحدثون جهدا لا نظير له ولا مثيل ومن جهودهم في دراسة المتن ما وضعوه من علامات وضوابط يعرف بها وضع الحديث من غير رجوع إلى سنده من ذلك:

1- ركاكة اللفظ في المروي: فيدرك من له إلمام باللغة ومعرفتها أن ذلك لا يمكن أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم إذا صرح الراوي بأنه لفظه وإلا فمدار الركة على المعنى وإن لم ينضم إليها ركاكة اللفظ.

2- مخالفة الحديث لنص القرآن أو السنة المتواترة: فما يخالف القرآن كحديث: "مقدار الدنيا وإنها ... آلاف سنة" فهو مخالف لقوله تعالى: (يَسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَت فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ لَا تَأتِيكُم إِلَّا بَغتَةً يَسأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ اللَّهِ) .

وما يخالف السنة كأحاديث مدح من اسمه محمد أو أحمد، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار؛ والنار لا يجار منها بالأسماء والألقاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح

3- ما اشتمل على مجازفات وإفراط في الثواب العظيم على الأمر الصغير، أو وعيد عظيم على فعل يسير: كحديث: من قال: لا إله

إلا الله، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له
يقول الدكتور صبحي الصالح صاحب كتاب علوم الحديث و مصطلحه مؤكدا عدم تفرقة المحدثين بين السند والمتن في حكمهم على الحديث: "على أننا لا نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون، وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم" الغزير" يرتكبونها كلما عرضوا للحديث النبوي، إذ يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصل بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان، فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب والتقسيم، وإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحس أن يرد عن طريق صحيح".
فعلماء الحديث - رحمهم الله - درسوا متن الحديث دراسة وافية يعرف قدرها من نظر إلى مؤلفات القوم وما تركوه من ميراث عظيم سارت على ضوئه الأجيال، واعترف بذلك المنصفون، فلا عبرة بما قاله غاستون ويت، ولا بما قاله كل حاقد يريد شرا بديننا القويم فنحن المسلمون بحمد الله نثق في علمائنا الأجلاء ونقدر لهم جهودهم، ونشكر لهم ما بذلوه من جهود في خدمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ونشهد لهم بذلك وبسلامة منهجهم واستقامته ولا نلتفت إلى طعن الطاعن أو قول مبغض فيهم أبدا بل نكشف قوله ونرد كيده ونمحو أثره وصدق الله إذ يقول: (بَل نَقذِفُ بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيلُ مِمَّا تَصِفُونَ .

أثر الإستشراق على الإسلام:

الآثار العقدية:

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور تيار من المفكرين والعلماء والسياسيين وحتى الناس العاديين أو العامة الذين نادوا بفصل الدين عن الحياة أو ما يطلق عليه العلمانية.

ومن تأثير الاستشراق في المجال العقدي الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب والسنّة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية، ويجذبون أبناء المسلمين لمثل هذه الاهتمامات، كما أن من اهتمامات الاستشراق التي تدعو إلى الريبة اهتمامهم بالفرق المنحرفة كالإسماعيلية وغيرها من الفرق، فيعطونها من وقتهم ومن دراساتهم ما تجعل الغريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام. وقد حرص الاستشراق والتنصير على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي، فمن ذلك الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية التي لها فروع في كل من القاهرة وبيروت واسطنبول ودبي.

الآثار الاجتماعية:

تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح وقد تمكن الاستعمار بالتعاون مع الاستشراق في إحداث تغيرات اجتماعية كبيرة في البلاد التي وقعت تحت الاحتلال الغربي. ففي الجزائر مثلاً حطم الاستعمار

الملكيات الجماعية أو المشاعة للأرض وذلك لتمزيق شمل القبائل التي كانت تعيش في جو من الانسجام والوئام وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النـزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية، ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة.

الآثار السياسية والاقتصادية:

يزعم الغربيون أن الديموقراطية الغربية هي أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، ومن بين الدول التي يريدون لنظامهم أن يسودها البلاد الإسلامية، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها هو انتقاد النظام السياسي الإسلامي.

أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي تشجيع الصناعة في البلاد الإسلامية دون الاستعداد الكافي لها، وإهمال قطاع الزراعة فقد اقتنع العالم العربي بأن النهضة الحقيقية إنما تكون في الصناعة، ولذلك أهملت الزراعة إهمالاً شبه كلي، مع أن نهضة الغرب الصناعية بدأت بالاهتمام بالزراعة وما زال الغرب يسيطر على إنتاج الحبوب والمواد الغذائية الأساسية في العالم.

الاثار الثقافية والفكرية :

حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية

والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كـان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيـداً وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكـوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربـها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى.أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم. كما أنشؤوا المسارح والسينما، وأدخلوا إلى حياة الشعوب العربية الإسلامية فنون اللهو غير المباح من مراقص وغناء وغير ذلك. وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعراً ونثراً وقصة.

ومن هنا يتجلى لنا

أن الاستشراق تيار فكري يتجه صوب الشرق ، لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه ، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب ، والرغبة في خدمة الاستعمار ، وتنصير المسلمين ، وجعلهم مسخا مشوها للثقافة الغربية ، وذلك ببث الدونية فيهم ، وبيان أن دينهم مزيج من اليهودية والنصرانية ، وشريعتهم هي القوانين الرومانية مكتوبة بأحرف عربية ، والنيل من لغتهم ، وتشويه عقيدتهم وقيمهم ، ولكن بعضهم رأى نور الحقيقة فأسلم وخدم العقيدة الإسلامية ، وأثر في محدثيهم ، فبدأت كتاباتهم تجنح نحو العلمية ، وتنحو نحو العمق بدلا من السطحية ، وربما

صدر ذلك عن رغبة من بعضهم في استقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم الاستشراقية ، وهذا يقتضي الحذر عند التعامل مع الفكر الاستشراقي الذي يتدثر الآن بدثار الموضوعية وما على المسلم إلا أن يلتقط الخير من مؤلفاتهم متنها إلى مواطن الدس والتحريف ليتجنبها أو ليكشفها أو ليرد عليها لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، خاصة وأن الفكر الاستشراقي المعاصر قد بدأ يغير من أساليبه وقسماته من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي وإقامة حوار بين المسيحية والإسلام ، ومحاولة تغيير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين ، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم فلنكن حذرين . فإن مجالات ومناهج الاستشراق والمستشرقين تجعل أمام الباحث العربي أو الإسلامي ضرورة التسلح بالمعرفة التاريخية والخبرة الأكاديمية لكي يدرس بدراية ووعي وعمق مناهج المستشرقين والتعامل مع الأكاديميين منهم لكي يكون أكثر موضوعية وقدرة, ولذلك يخضع الآن تعريف أكثر عمقاً وعلمية للمستشرق فهو من تعلم العربية, ودرس الشرق وتخرج من جامعة أكاديمية حين ذاك يصبح في مصاف المستشرقين الأكاديميين الذين يمكن التعامل معهم فكرياً ودراستهم علمياً والرد عليهم أكاديمياً. وقد أدرك علماء المسلمين منذ القرون الأولى أهمية معرفة الأمم والشعوب الأخرى ليس فقط من النواحي العقدية ولكن أيضاً من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وتعرفوا إلى الحضارات الأخرى وأخذوا منها ما ناسبهم وتركوا ما خالفهم. وكان من أهم الكتابات في المجالات العقدية ما كتبه ابن حزم في الملل والنحل وما كتبه البغدادي في الفرق وما كتبه الأشعري في مقالات الإسلاميين وما

كتبه بعد ذلك ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم وغيره وما كتبه ابن قيم الجوزية كذلك. ويمكن أن نضيف إلى هذه الكتابات ما كتبه الجغرافيون العرب في وصف البلدان المختلفة.

ولما كان العصر الحاضر وبدأ احتكاك المسلمين بالاستشراق من خلال بدأ البعثات العلمية إلى دول أوروبا المختلفة والتي بدأت في فرنسا ثم غيرها من الدول الأوروبية ثم جاء العصر الحاضر وانطلقت البعثات إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتجمع مئات الآلاف من الطلاب العرب والمسلمين هناك. كما كان للاحتلال الأجنبي لديار المسلمين دور في التعرف إلى الاستشراق وكتابات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين.

ولكن دراسة الاستشراق بدأت من علماء الشريعة المسلمين الذين أخذوا على عاتقهم الذب عن هذا الدين فكان زعماء الحركات الإصلاحية وأعلام العلماء المسلمين هم الذين تصدوا للهجمة الاستشراقية على عقيدة هذه الأمة وتاريخها وتراثها الفكري والثقافي والحضاري. وبرز من هؤلاء كثير منهم الدكتور مصطفى السباعي ومحمد البهي وعبد الحميد بن باديس ومصطفى جواد ومحمود شكري الالوسي وغيرهم كثير.

وقبل حوالي عشرين سنة ظهر كتاب إدوارد سعيد حول الاستشراق فكان هذا إيذاناً بأن ثمة آخرون من خارج العلوم الشرعية يمكن أن يكتبوا في نقد الاستشراق والتعرف إليه عن قرب. فأحدث كتاب إدوارد سعيد ضجة في الغرب كما تناوله علماء المسلمين بالدراسة والنقد. فأصبح من اللافت للانتباه أن دارسة الاستشراق لم تعد مقتصرة على علماء الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة كالفقه والحديث والتفسير واللغة العربية فقد انضم إلى هؤلاء في السنوات الماضية أساتذة في

مجال اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع والاتصالات والعلوم السياسية. ولعل أبرز من كتب حول الاستشراق من خارج التخصص في الدراسات الإسلامية إدوارد سعيد المتخصص في الأدب الإنجليزي المقارن. وهذا كتاب عدنان الوزان كذلك وهو متخصص في اللغة الإنجليزية، كما كتب عن الاستشراق الدكتور أبو بكر باقادر وهو متخصص في علم الاجتماع، أما في العلوم السياسية والإعلام فقد كتب الدكتور جمال الشلبي عدة بحوث تناول فيها الاستشراق المعاصر([1]).

وقد وجه النقد إلى الكتابات الإسلامية بأنها تنطلق من العداء للاستشراق كما في كتابات أنور الجندي أو بعض الكتابات الأزهرية أو غيرها كتلك التي أشرنا إليها في بداية الموضوع. وقد أفاض فؤاد زكريا في نقد ما أسماه الاتجاه الديني في نقد الاستشراق حتى إنه أخذ على بعض الباحثين "الإسلاميين" أنهم لا يعرفون التوثيق العلمي في كتاباتهم أو أن أمانتهم العلمية ليست كما ينبغي. وقد يكون محقاً في بعض هذا النقد. ولكن الحقيقة أن علماء الشريعة المسلمين من المفترض أنهم ينطلقون في نقدهم للاستشراق أو للغرب عموماً من قوله تعالى (ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله)

كما أن السيد محمد الشاهد تناول هذه القضية في بحث له حول نقد الاستشراق في الكتابات الإسلامية المعاصرة ولعله أضاف إن كثيراً من الكتابات التي تتناول الاستشراق لا تعرف من الاستشراق إلاّ بعض الكتابات القليلة للمستشرقين التي تمت ترجمتها إلى اللغات الإسلامية فتأتي كتاباتهم نقلاً عن بعضهم

---

[1] –جمال الشلبي. **العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة**. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2000م)

البعض. فما أكثر الكتابات التي انتقدت جولدزيهر ومعظمها إن لم يكن كلها تنتقد ما ترجم لهذا المستشرق للغة العربية أما ما ترجم له إلى اللغة الإنجليزية أم ما كتبه في لغته الأصلية فإن هذه الكتابات لا تكاد تكون موجودة. كما انتقد هؤلاء في عدم معرفتهم بجهود المستشرقين المعاصرين في التعريف بالإسلام ونقد النصرانية وضرب كثيراً من الأمثلة على ذلك من الاستشراق الألماني المعاصر. وللدكتور قاسم السامرائي ملاحظات شبيهة بحكم احتكاكه بالاستشراق الهولندي ومعرفته بهم معرفة وثيقة.

ولعل الكتابات في العصر الحاضر تناولت العلاقة بين الإسلام والغرب أو العالم العربي والغرب وبخاصة في ضوء ازدياد قوة وسائل الإعلام وانتشار نفوذها حتى أصبحت كما ذكر الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش في كتابه القيم (الإسلام بين الشرق والغرب) أكثر خطورة من الدكتاتوريات السابقة لقدرته الطاغية على التأثير في الجماهير. ولعل هذا ما يفسر لنا دخول علماء السياسية والاتصال لهذا المجال الحيوي. فهذا غسان سلامة (المتخصص في العلوم السياسية) يرى أن انتشار مراكز البحث والمعاهد وأقسام الدراسات الشرق أوسطية والمكتبات إنما هي " نوع من الامتداد الطبيعي والمنطقي لظاهرة الاستشراق وأطلق عليها "مرحلة الاستشراق الجديدة."([2])

ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح في أي مجال من مجالات المعرفة ينبغي أن ندرس الاستشراق؟ وهل الاستشراق شيء واحد أو إنه متعدد؟ الحقيقة إن الاستشراق لم يعد شيئاً واحداً من ناحية الدراسة والتخصص فقد توزعت اهتمامات المستشرقين القدماء إلى عشرات التخصصات حيث أصبحت

---

[2] – غسان سلامة," العرب والمسلمون في كتابين جديدين." في **مجلة الفكر العربي** ، س 2 العدد 14 ، 1980 ص 223 نقلاً عن جمال الشلبي ، المرجع السابق ص 37.

دراسة الإسلام والعالم الإسلامي تتم من خلال أقسام الاجتماع والجغرافيا والتاريخ وعلم الإنسان والأديان ومن خلال أقسام دراسات المناطق والدراسات الإقليمية وغيرها من الأقسام.

فبالرغم من تعدد الأقسام التي تدرس العالم الإسلامي وقضاياه لكن كثيراً من الجامعات تحافظ على وجود قسم دراسات الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط للتنسيق فيما بينها وكأنه الرابط الأخير بالدراسات الاستشراقية القديمة والتي يتم فيها دراسة كتابات المستشرقين التقليديين مثل بروكلمان وجولدزيهر وشاخت وبوزوورث وبرنارد لويس وغيرهم. وفي هذه الأقسام يتم تسجيل رسائل الدراسات العليا كما يحدث في كل من جامعة برنستون وجامعة كولومبيا وجامعة كاليفورنيا في بيركلي وفي جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس.

وقد أصبح يشارك الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في دراسة الشرق الأوسط وهذه وإن لم تكن أكاديمية في مناهجها ولكنها تستعين بالأكاديميين أو إن الأكاديميين هم الذين يقومون بالعمل فيها وإدارتها. وإن كانت بعض المعاهد تستعين بالسياسيين أو الدبلوماسيين القدامى مثل معهد الشرق الأوسط بواشنطن العاصمة أو معهد دراسات الشرق الأدنى في واشنطن أيضاً.

والسؤال كيف ندرس الاستشراق هل هو اتجاه فكري يتم دراسته من خلال أقسام كليات الشريعة واللغة العربية والعلوم الاجتماعية أو يمكن أن نفرد دراسة الاستشراق من خلال كليات يمكن أن نطلق عليها كليات الدراسات الأوروبية والأمريكية؟ ما دام الاستشراق قد انتقل من الوضع القديم إلى وضع أصبح فيه يتناول العالم الإسلامي من جميع الجوانب ويستخدم مناهج البحث

الخاصة بالعلوم المختلفة كالعلوم الاجتماعية وعلوم الاتصال وعلوم اللغة وغيرها. وما دام الباحث الغربي الذي ينطلق لدراسة العالم الإسلامي إنما هو ابن بيئته ولا يختلف تكوينه الفكري والمنهجي عن أي أكاديمي غربي في أي مجال من المجالات المختلفة.

ولذلك فإن المطلوب في مواجهة الهجمة الاستشراقية أن نعرف الغرب معرفة دقيقة في جميع جوانب الحياة فلا بد أن يتم دراسة الغرب في أقسام علم الاجتماع والتاريخ واللغة وعلم النفس والاتصال وقد حضرت مؤتمراً في عمّان (10-12 أبريل 2000م) حول العلاقات العربية الأمريكية وقد تناول عدد من الباحثين صورة العرب والمسلمين في الإعلام الأمريكي ولكنهم لم يتعمقوا في فهم هذا الإعلام وعلاقته بالحكومة الأمريكية وهل تستطيع الحكومة الأمريكية التأثير في وسائل الإعلام. فقد فعلت هذا الأمر في حرب الخليج الثانية حيث أصرت على أن تكون أخبار هذه الحرب صادرة عن غرفة عمليات تابعة للقوات الأمريكية أو قوات الحلفاء. ولم تشر أي من الأوراق المقدمة لارتباط الحكومة الأمريكية بعقود تسلح مع عدد من كبريات الشركات الأمريكية التي تمتلك بعض كبريات وسائل الإعلام الأمريكية كما أشار مؤلفا كتاب(مصادر غير موثوقة.)([3])

[3] - Martin A. Lee& Norman Solomon . *Unreliable Sources: a Guide to Detecting Bias in News Media.* (New York: Carol Publishing Group, 1992.

قراءة معاصرة في كتاب : الاستشراق لإدوارد سعيد

حاولت أن أفهم الكتاب باللغة الانجليزية ولكن بدا لي الامر صعبا في معظم الاحيان ومعقدا بعض الشئ , وذلك لصعوبة اللغة التى يستخدمها سعيد (وصعوبة اللغة بشكل عام في هذا المواضيع بالمقارنة مثلا مع الكتب الخاصة بالاعلام والسياسة) فاستسهلت قراءته بالعربية في محاولة أن لاتفوتنى أي جزئية أو فكرة مهما صغرت في الكتاب .. وخلال قرائتك للكتاب بالعربية تلاحظ معاناة الاستاذ كمال أبو ديب في الترجمة من خلال محاولتة شرح كل شاردة وواردة في الكتاب مما يضطرة احيانا لتوضيح ذلك في أسفل الصفحة بل ويعترف في اكثر من موضع بصعوبة ترجمة هذه الكلمة او تلك العبارة ويكتب لك تفسيرة الظنى لذلك .. كما إنه كان يلجأ للمصادر العربية من أصولها العربية إذا ما استشهد سعيد بأحد هذه المصادر وذلك ليتجنب ضياع النص في الترجمة من العربية الى الانجليزية ثم العوده به من الانجليزية الى العربية ... وفهم الاستاذ كمال أبو ديب للترجمة كعلمية نقل علم لهو فهم متقدم وواعي وشديد الاحساس بالمسؤولية وسأنقل لكم تعبيرة الشخصي عن هذا الفهم كتبه في مقدمة كتاب الاستشراق وكان

يطبق هذا الفهم حقيقتا في كل عبارة نقلها عن سعيد : " لعملية الترجمة في تصوري بعدان إثنان تمثل النص المترجم تمثيلا مدركا لخصائصه البنيوية الكلية وتمثيله في لغة قادرة على تجسيد هذه الخصائص إلي أقصي درجات التجسيد المتاحة . والخصائص البنيوية وأعنى الخصائص البنيوية لامجرد الرسالة الفكرية التى يقررها النص . كان عبدالقادر الجرجانى هذا الرائد العظيم لعلم البنية قد قال في لمحة فذة عن البنية والمعنى والترجمة , لو أن مترجما أخذ قولنا (زيد شجاع) وترجم شجاع بالكملة الموضوعة للشجاعة في لغته لكان كلامه ترجمة لكلامنا , لكن لو أن مترجما أخذ قولنا (زيد أسد) وفهم منه أنه يعنى زيد شجاع فترجم أسد بالكلمة الموضوعة للشجاعة في لغته لكما كان كلامه ترجمة لكلامنا بل كان ينشئ إنشاءة ويخلق كلاما خاصا به " .

كتاب الاستشراق (العربي المترجم) تم طباعته سبعة مرات أخرها 2005 وأولها عام 1981 أي بعد ثلاث سنوات من صدور الكتاب في عام 1978 , الكتاب يقع في 366 صفحة قدمة للعربية الاستاذ كمال أبو ديب وهو ناقد وشاعر سوري نال درجة الدكتوراه في الاداب من أوكسفورد ويعل الان استاذا في جامعة اليرموك صدر له بالعربية كتاب (من مراثي ارميا) شعر و (في البنية الايقاعية للشعر العربي) وجدلية الخفاء والتجلي , وبالانجليزية صدر له (Al Jurjani's Theory of Poetic Imagery) London 1979 .

أما كتاب الاستشراق الطبعه الاصلية فهو بعنوان (Orientalism)من 394 صفحة من المقطع الصغير صدر للمرة الاولي عام 1978 عن Vintage Book) A Division of Random House New York) .

وضعت النقاط التى أعتقد انها مهمة وجديرة بالتوقف عندها لتحليلها وتدبرها باللون الاحمر أما تقسيم الكتاب هو باللون الازرق كبداية الفصل او الباب والخ.. بالنسبة للنصوص التى اقتبسها سعيد فإنى وضعت مصادرها تحت كل نص مصدرة بشكل مباشر حتي إذا ماأحتاج أحد نص ما فإن مصدرة معه , ولايحتاج لمهمة شاقة في البحث والتقصي (ربما بسبب كونى عانيت كثيرا من ذلك) ... يعنى عندك بحث خذ النص ومصدرة معاه لاتحتاج انك تشتري او تستعير او تبحث عن الكتاب و المصدر (باقي خدمة التوصيل للمنازل انتم (تدللوا) ان شاء الله هذه في قراءات قادمة على طريقة البيتزا) .

وضعت اسماء أعداد كبيرة من الستشرقين في ختام هذه القراءة مع ذكر كتبهم إن أمكن وأسمائهم باللغة الانجليزية حتى يمكن الرجوع لهم إن رغب أحد بذلك, ليس كلهم موجودين في كتاب الاستشراق ولا حتى في الثقافة والامبريالية , ولكن أضفت أيضا بعض الذين صدف أن قرأت لهم أو عنهم .

إن كنت قد أطلت قليلا فهذا محاولة منى أن أحيط بأكبر قدر ممكن من أفكار الكتاب وأظن رغم هذه الاطالة قد فاتنى الكثير من أفكار سعيد وتحليلاته , ولكن هذه القراءة لاتغنى أبدا عن قراءة الكتاب الاصلي طبعا مهما إجتهد أحد منا في محاولة تبسيطها أو تلخيصها أو حتى كتابة فهمه لها في عدة صفحات .

نرحب بأفكاركم وانتقاداتكم وتعليقاتك والله الموفق .

في مقدمة كتابه يشير سعيد إلي أن الشرق ليس حقيقة خاملة من حقائق الطبيعة فهو ليس مجرد وجود ثمة , بالضبط كما أن الغرب نفسة ليس مجرد وجود ثمة , كما قال " فيكو" البشر يصينعون تاريخهم وأن ما بمقدورهم أن يعرفوه هو ماصنعوه , نسحب هذه الملاحظة علي الجغرافيا ذلك أن مواضيع جغرافية كالشرق

والغرب من حيث هي كيانات جغرافية وهقافية دون أن تقول شيئا عن كونها كيانات تاريخية هي من صنع الانسان ومن ثم فإن الشرق بقدر الغرب نفسه تماما فهو فكرة ذات تاريخ وتراث من الفكر والمفردات والصور التى أسبغت عليها حضورا وحقيقة في الغرب ومن أجل الغرب .

العلاقة بين الشرق والغرب هي علاقة من القوة ومن السيطرة ومن درجات متفاوته من الهيمنة المعقدة المتشابكة , لقد شُرقن الشرق لان الشرق كان قابلا لأن يُشرقن ويخضع .

إنه لمن الممكن للمرء أن يطرح منظومة تقول : إن المكون الرئيسي للثقافة الأوربية هو بالضبط ماجعل تلك الثقافة متسلطة داخل أوربا وخارجها على حد السواء , فكرة كون الهوية الأوربية متفوقة بالمقارنة مع جميع الثقافات والشعوب غير الأوربية .

الإستشراق لا يمثل بُعداً هاما من أبعاد الثقافة السياسية – الفكرية الحديثة بل هو هذا البعد , لذلك يقول سعيد أنه درس الإستشراق هنا بوصفه تبادلاً حيويا بين مؤلفين أفراد وبين المؤسسات السياسية الواسعة التى شكلتها الإمبراطوريات العظيمة الثلاث وهي البريطانية والفرنسية والامريكية , التى أنتجت الكتابة الإستشراقية ضمن حدودها الفكرية والتخيلية , ويضيف سعيد قائلا أن مايعنينى هنا كباحث ليس الحقيقة السياسية الإجمالية بل التفاصيل , بالضبط كما يعنينا في عمل كاتب مثل لين أو فلوبير أو أورينان ليس الحقيقة التى لامراء فيها "بالنسبة إليهم" من كون الغربيين أسمي من الشرقيين بل الدليل المحكم والمعدل بعمق لعملة التفضيلي ضمن الضاءً الرحب الذي فتحته تلك الحقيقة.

" إنهم عاجزون عن تمثيل أنفسهم , ينبغي أن يُمثلوا" كارل ماركس في شهر بروميير الثامن عشر للويس بنبرت .

لقد أسهمت ثلاثة أشياء في جعل حتى أبسط التصورات للعربي والإسلام قضية مسيسة إلي درجة عالية بل تكاد تكون خشنة :
أولا : تاريخ التحيز الشعبي ضد العرب وضد الإسلام في الغرب الذي ينعكس مباشرة في تاريخ الإستشراق.
ثانيا : الصراع بين العرب والصهاينة وتأثير هذا الصراع علي اليهود الأمريكيين بالاضافة إلي تأثيرة علي كلا الثقافة التحررية والسكان عامة .
ثالثا : الغياب شبة الكلي لموقع ثقافي يجعل من الممكن إما توحد الهوية مع العرب والاسلام أو مناقشتهما دون شبوب عاطفي.
الفصل الاول في الكتاب يبدأ بعنوان "التعرف على الشرق" يستعرض سعيد بعض المقالات والاقوال ل آرثر جيمس بلفور النائب طويل العهد بالبرلمان ووزير أول سابق لشؤون إيرلندا ووزير سابق لشؤون اسكتلنده ورئيس وزارء سابق ومتمرس في الأزمات والانجازات والتغيرات التى جرت في ماوراء البحار وله تاريخ طويل في تتبع حروب الافغانيين والزولو والاحتلال البريطانى لمصر والسودان وحادثة فاشودا ومعركة ام درمان وحرب البور والحرب الروسية اليابانية إضافة إلي سمو مكانتة الاجتماعية وسعة علمة وحدة بديهته كونه أيضا كاتبا في موضوعات عدة كالالوهية والغولف وتملكه الجلي لمقاليد إدارة الشؤون الامبراطورية , كل هذه الامور جعلت من بلفور سلطة ومرجعية كبيرة وإن كنت نوهت هنا لموقع هذا الرجل فقط لكي نعرف وزن أقواله وثقلها وموقعها من خلال موقع قائلها فالذي يتحدث هنا ليس رجل عادي من العامة أو شخصا مغمورا لايتحمل مسؤولية أقواله , يقول بلفور " قبل كل شئ أنظر إلي حقائق القضية , إن الأمم الغربية فور انبثاقها في التاريخ تظهر تباشير القدرة على حكم الذات ... لانها تمتلك مزايا خاصة بها ...

ويمكنك أن تنظر إلي تاريخ الشرقيين بأكمله فيما يسمي بشكل عام المشرق دون أن تجد أثراً لحكم الذات على الاطلاق , كل القرون العظيمة التى مرت على الشرقيين – ولقد كانت عظيمة جداً – انقضت في ظل الطغيان ظل الحكم المطلق , وكل إسهاماتهم العظيمة في الحضارة الانسانية –ولقد كانت عظيمة – أنجزت في ظل هذا النمط من الحكم , فقد خلفَ فاتحٌ فاتحاً , غير أنك في دورات القدر والمصير كلها لاتري أمة واحدة من هذه الامم توسس بدافع من حركتها الذاتية مانسميه نحن من وجهة نظر غربية حكم الذات . أهو خير لهذه الامم العظيمة وأنا اعترف بعظمتها أن نقوم نحن بممارسة هذا النمط من الحكم المطلق ؟ في ظنى أن ذلك خير , وفي طنى أيضا أن التجربة تظهر أنهم في ظل هذا النمط عرفوا حكومة أفضل بمراجل مما عرفوه خلال تاريخ عالمهم الطويل كله ... نحن في مصر لسنا من أجل المصريين وحسب , نحن هناك أيضا من أجل أوربا كلها ".Thierry Desjardins, Le Martyre du Liban (Paris: Plon, 1979), p14.

طبعا بلفور لم يقدم دليلا واحدا على أن المصريين و الشرقيين بصفة عامة تنظر بتقدير واحترام أو تفهم على الاقل للخيرالذي يأتيها من الاحتلال الاستعماري.

يؤكد بلفور في قول آخر ماقام به اللورد كرومر من خدمات لمصر في قولة " وقد أرتقت خدمات لورد كرومر بمصر خلال ربع القرن الماضي من أدنى درجات المهانة الاجتماعية والاقتصادية إلي حيث تقف الآن بين الأمم الشرقية فريدة في أعتقادي دون منازع في ثرائها ماليا وأخلاقيا"

K. M. Panikkar, Asia and. Western Dominance (London: George Allen

(&Unwin, 1959

أما كيف قيس ثراء مصر الأخلاقي فإن بلفور لم يشرع بتقديم أيضاح لذلك .

هناك مصطلاحات كثيرة وردت في أقوال بلفور وكرومر والكثير من الكتاب الأوربيين عبرت عن العلاقة بين الشرق والغرب مثل (الشرقي لا عقلانى فاسق طفولي مختلف وبالمقابل فإن الأوربي عقلانى متحل بالفضائل ناضج سوي).

2 – الجغرافيا التحليلية وتمثيلاتها : شرقنة الشرق: الاستشراق بتحديد دقيق ميدان من ميادين الدراسة المتفقهه وفي الغرب المسيحي يؤرخ لبدأ وجود الأستشراق الرسمي بصدور قرار مجمع فينا الكنسي عام 1312م بتأسيس عدد من الكراسي الاستاذية في العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وأفينيون وسلامانكا .

الشرق الذي تمت دراسته بشكل عام كان نصيا "مفردا" فقد جاء وقع الشرق عبر الكتب والمخطوطات لا عبر مصنعات محاكية مثل النحت والخزفيات كما كان الانطباع عن اليونان في عصر النهضة .

في مسرحية يوريبيدس الباكنتيون صفحة 86 يصور اسخيلس حس الكارثه التى ألمت بحيش الفرس في قوله " الأن تنوحُ أرض آسيا كلها بحس بالخواء كسيركس قاد الجيوش إلي الامام ...إلي آخر الأغنية "

Aeschylus, The Persians, trans. Anthony J. Podleck (Englewood cliffs, N.J:Prentice-Hall, 1970, pp.73-4

مايهم هنا هو أن آسيا تتكلم عبر الخيال الأوربي وبفضل هذا الخيال الذي يُصوره منتصراً علي آسيا هذا العالم العدائي عبر

البحار .
المفكرين المسيحيين الذين حاولوا فهم الاسلام قاموا بعملية قياسية إذا كان السيد المسيح هو أساس العقيدة المسيحية فلابد أن يكون محمد صلي الله عليه وسلم عمود أو أساس الديانة الاسلامية لذا فتم أطلاق إسم المحمدية على الإسلام .
ذلك أن الشرق " في الخارج هناك " باتجاه المشرق يُصوبّ بل يُعاقبّ أيضا لوقوعه خارج حدود المجتمع الأوربي عالمنا نحن وهكذا يُشرقن الشرق , وتلك عملية لا تقتصر على تحديد الشرق باعتباره إقليم المستشرق بل إنها كذلك تفرض على القارئ الغربي المبتدأ أن يقبل تقنيات المستشرق " مثل مكتبة دير بيلو الأبجدية " باعتبارها الشرق الحقيقي وتتصبح الحقيقة باختصار وظيفة إدائية من وظائف المحاكمة المتفقهه لا المادة نفسها التى تبدو بمرور الزمن وكأنها تدين حتى بوجودها نفسه للمستشرق.
3- مشاريع : الشرق الأسلامي والعربي بشكل عام كانا الوحيدين اللذان واجها أوربا بتحد لم نرى له مثيلا على الأصعدة السياسية والفكرية ولزمن قصير الإقتصادية أيضا " يقصد هنا بالاقتصادية أزمة النفط في السبعينات حين استخدم العرب سلاح البترول) لقد كان الإسلام
دون شك إستفزازا دائماً للغرب .
بعد نابليون تغيرت لغة الاستشراق ذاتها تغيرا جذريا فقد إرتقت واقعيتها الوصفية وصارت ليس مجرد أسلوب للتميل بل لغة بل بالاحري وسيلة للخلق وقد أعيد بناء الشرق وأعيد تجميعه وصيغ بإيجاز ولد من جهود المستشرقين , وصار كتاب " وصف مصر " نقطة تحول وحجر زاوية في الرؤية الاوربية للشرق وطريق تعاملهم مع الشرق.
في فكرة قناة السويس نفسها نجد الخاتمة المنطقية للفكر

الاستشراقي بل وذلك أكثر تشويقا للجهد الاستشراقي كانت آسيا ذات يوم قد مثلت بالنسبة لاوربا النأي لكن بعد شق القناة أصبحت عالم واحد مع أوربا ومنذ ذلك الحين يصبح مفهوم الشرق مفهوما إداريا أو تنفيذيا , ويغدو خاضعا للعوامل السكانية والإقتصادية والإجتماعية ,لقد أذاب دوليسبس الهوية الجغرافية للشرق بجر الشرق إلي داخل الغرب وبنفي تهديد الإسلام أخيراً . (دوليسبس هذا هو مهندس ومخطط ومنفذ مشروع قناة السويس) . 1,267

- أزمات : البشر والأمكنة والتجارب قابلة دائما للوصف في كتاب إلي درجة أن النص أو الكتاب يكتسب سلطة أعظم وقدرة على النفع أكبر حتى مايمتلكه الواقع الفعلي الذي يصيغه .

إرتقي الاستشراق دائما من الجزئية الانسانية الخاصة إلي العام المتجاوز للانسان وهكذا تنامت ملاحظة محدده حول شاعر عربي من شعراء القرن العاشر مثلا إلي سياسة أتجاه حول العقلية العربية ككل ... وفي مرحلة مابعد القرن الثامن عشر لم يكن بمقدور الاستشراق أبدا أن ينتج نفسه ويعيد النظر إلي طبيعته ليصبح كرومر وبلفور أمرا حتميا , كمراجع حتمية لامفر منها لاي باحث عن الاستشراق.

وجود علاقة وثيقة بين الاستشراق والسياسة يثير أسئلة حول النزوع الطبيعي للبراءة أو الذنب حول التحيز في البحث العلمي أو تواطئ التجمعات التى تمارس الضغوط من أجل تسيس أو إحتواء النتائج لغاية معينة .

في حديثه عن رواية سكوت الطلمسان 1825 توقفت طويلا عند هذا المقطع الذي ينازل فيه سير كنيث (من وحدة الفهد الجاثم) مسلما في صحراء فلسطين ويمنعه من التقدم يقول (لقد أعتقدت ...أن عرقك الأعمي قد انحدر من سلالة الشرير الرجيم

الذي ماكنتم لتستطيعوا دون عونه ان تحتفظوا بأرض فلسطين المقدسة هذه في وجه هذا العدد من جنود الله الشجعان . وأنا لا أتحدث بهذه الطريقة عنك أنت بالذات أيها المسلم بل بشكل عام عن قومك ودينك ومع ذلك فالغريب في نظري ليس أنك تنحدر من سلالة الشرير بل أنك أيضا تفاخر بذلك)

Sir Walter Scott, The Talisman (1825; reprint ed.,London:J.M.Dent 1914), pp.38-9.

ذلك أن المسلم بالفعل يفاخر بأن نسب قومه متصل بإبليس , إذن فهذه الافكار والثقافة كانت سائده منذ بداية القرن التاسع عشر ولعلها بذور أو نواة مايسمي الان باليمين المسيحي المتطرف في امريكيا وفكرة السنة الألفية معركة هارمجدون في فلسطين التى سيحارب فيها الشيطان إلي جانب المسلمين ضد اليهود والمسيحين الذين سيكونون في الطرف الاخر بقيادة السيد المسيح الذي سيأتى مرة أخري ولن يصلبه اليهود هذه المرة ولكن سيقاتلون تحت رايته, ولم لا إن كنا ننحدر من سلالته حسب مفهومهم وقناعاتهم .

تطغي هذه الاراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فالعرب مثلا يُصورون علي أنهم راكبي جمال إرهابيون معقوفي الانوف شهوانيين شرهين تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية وثمة دائما أفتراض متربض بأن المستهلك الغربي رغم كونه ينتمي إلي أقلية عددية ذو حق شرعي إما في إمتلاك معظم الموارد الطبيعيه في العالم أو في أستهلاكها أو في كلاهما معا ... طيب لماذا لانه بخلاف الشرقي إنسان حق (راجع تسلط الاقليات المالكه لأنور عبد الملك) " إن غربيا من الطبقة الوسطي يؤمن بأنه امتياز طبيعي له لا أن يدير شؤون العالم غير الابيض فحسب بل أن يمتلكه كذلك لمجرد أن

العهالم الاخير تحديدا ليس بالضبط إنسانيا تماما بقدر ما "نحن " كذلك .

في الفصل الثانى : البنى الاستشراقية وإعادة خلق البنى : حدود إعيد رسمها قضايا أعيد تحديدها والدين المعلن :

تشكل العناصر الاربعة التى وصفها سعيد (التوسع – المجابهه التاريخية – التعاطف – التصنيف) التيارات الفكرية في القرن الثامن عشر التى تعتمد عليها البني الفكرية والمؤسساتية المحدده للاستشراق الحديث .

كان المستشرق الحديث في نظر نفسه بطلا ينقذ الشرق من مطاوي الابهام والأغتراب والغرابة التى كان هو ذاته يميزها تميزا سليما وقد أعادتأبحاثه بناء لغات الشرق الضائعه وعاداته بل وحتى عقليته .

2- سلفستر دوساسي وأرنست رينان علم الانسان العقلانى والمختبر فقه اللغوي:

"المقتطعات العربية" أشهر أعمال ساسي وتحليل مطول عنها في هذا الباب .

3-الأقامة في الشرق والبحث : لقد نظم الاستشراق نفسه بصورة مطرده بوصفه حصولا على المادة الشرقية ونشرا مقننا لها كشكل من أشكال المعرفة المتخصصه وقام المرء بنسخ كتب النحو وطباعتها وحصل على النصوص الأصلية وضاعف أعدادها ونشرها في مجال واسع وأفرز المعرفه في اشكال مرحلية مثلما قال " دزرائيلي " كان الشرق قد أصبح صنعة لايستطيع فيها المرء أن يرمم الشرق ويعيد صنعه فحسب بل أن يرمم نفسه ويعيد صنعها كذلك .

4- الحج والحجاج بريطانيين وفرنسيين : في منظومة شاتوبريان ومايقوله عن الأسلام صفحة 186 , يقول:

" لم تـَدُر الحرب الصليبية حول إنقاذ كنيسة القيامة وحسب بل دارت حول معرفة من الذي سينتصر على هذه الأرض : مذهب تعبدي هو عدو الحضارة محبذ باطراد للجهل (يقصد الاسلام طبعا) وللطغيان وللعبودية , أو مذهب تعبدي أدي إلي أن يوقظ في البشر المعاصرين عبقرية الزمن الغابر الحكيم وألفي العبودية الدنيئة ".

ثم جاء بفكرة خرقاء أخري طالما ترددت في الكتابة الأوربية وهي كيف علمت أوربا الشرق ولقنته معنى الحرية حين يقول :

" عن الحرية لا يعرفون شيئا من الاحتشام ليس لديهم شئ القوة هي ربهم وحين تمر بهم فترات طويلة لا يرون فيها فاتحين يطبقون عدالة السماء فإنهم يبدون مثل جنود دون قائد مثل مواطنين دون مشّرعين مثل عائلة دون أب."

هنا يربط سعيد ربطا جميلا بين الفترة الزمنية((1810)) التى قيلت فيها تلك الكلمات وعاشها شاتوبريان وبين ((1910)) وماقاله كرومر محتجا بأن الشرقيين يطلبون الفتح وعاجزا عن أن يري مفارقة ضدية في إدعاء أن الفتح الغربي للشرق ليس فتحا بعد كل حساب بل حرية , أي أنها نفس العقلية بنفس الادوات وطريقة التفكير وحتى طريقة إستعمال الالفاظ حتى بعد مرور مائة عام , ولو تمعنا قليلا فإننا في 2006 نجد أي بعد مرور مئة سنة أخري تقريبا (رام سفيلد وديك شينى وبوش وآخرين في الحزب الجمهوري الحاكم في الولايات المتحدة الامريكية وطونى بلير وبراون) يتكلمون بنفس الطريقة والاسلوب بل وبنفس الكلمات تقريبا عن إجتياح العراق واحتلاله وضرورة تحريرة وتحرير أبنائة وزرع مفهوم الديقراطية والحرية في أرجائة بعد الاطاحة بنظام صدام ... هي نفس العقلية ولا شك التى تطالب بتحرير التبت أيضا من الحكم الصينى ...

وهذا يكشف العلاقة الوطيدة بين المستشرقيين والانظمة الاستعمارية الإمبريالية في ترويج ونشر وحشد الرأي العام من أجل أهداف وغايات أخري بعيدة كل البعد عن اصول البحث العلمي .

درست القوي العظمي جميع الأقليات من يهود وروم أرثودوكس وأرثودوكس روس ودروز وشركس وأرمن وأكراد والمذاهب والملل المسيحية الصغيرة المختلفة وخطط لها وتم التآمر عليها من قبل هذه القوي العظمي التى كانت ترتجل وتصوغ وتبنى سياستها في الشرق مثال ذلك عام 1860 أثناء الصدام بين الموارنة والدروز في لبنان حيث ساندت فرنسا الموارنة (لاحظ التاريخ ومدي قدم هذه العلاقة حتى يومنا هذا) وساندت بريطانيا الدروز .

حين يخبرنا بيرتن في الحج بأن مصر كنز ينبغي أن يُـنال وإنها الجائزة الأكثر إغرائا التى يمدها الشرق لطموح أوربا دون أن يستثنى من ذلك حتى القرن الذهبي فإن علينا أن نميز كيف يتخلل صوت سيد المعرفة الشرقية المفرط في تميزة الفردي صوت الطموح الأوربي لحكم الشرق .

الفصل الثالث : الإستشراق الأن 1- الاستشراق الكامن والظاهر :

كانت النتيجة بالنسبة للإستشراق تبلور نوع من الإجماع في الرؤية عند بعض المستشرقين فأصبحت هذه الرؤية ذات تأثير على الكتاب والباحثين الجدد أي إن هذه الرؤية تبلورت إلي مايشبة(نهج دراسي بحثي) للكتابة المنظمة المشرقنة بل أصبح المستشرقين أنفسهم مراجع يرجع إليها الباحث أوالدارس دون الأخذ بمنظور الواقع الشرقي أو حتى دون الرجوع للرأي الأخر .

كما قال نيتشه مرة :

" حيش متحرك من الإستعارات والكنايات والتشبيهات المجسمة

وبايجاز خلاصة من العلاقات الانسانية عـُمّقت ونُقلت وزُخرفت شعريا وبلاغيا وصارت بعد استعمال طويل تبدو صلبة شرائعية وملزمة لشعب ما : الحقائق إيهامات نسي المرء أنها كذلك ".

Friedrich Nietzsche, On Truth and Lie in an Extra-Moral Sense, in the portable Nietzsche, ed. And trans. Walter Kaufmann .(New York: Viking Press, 1954), pp. 46-7

في بدايات القرن الثامن عشر بلغ عدد الحجاج الأوربيين إلي القدس أعدادا هائلة لاتكاد تقارن أبدا بعدد الشرقيين الذين وفدوا إلي أوربا لاسباب مختلفة , بل إن الشرق كان الشغل الشاغل للكتاب والمؤلفين في أوربا حيث بلغ عدد الكتب المؤلفة منذ عام 1800 وحتى عام 1950 حوالي 60,000 كتاب , تخيل الرقم ستون ألف كتاب خلال مائة وخمسون سنة فقط أي بمعدل 400 كتاب في السنة الواحدة أي أكثر من كتاب واحد في اليوم , وطبعا لامقارنة مطلقا بعدد الكتب التى كتبت في الشرق عن الغرب .

هاجم مؤرخون ثقافيون محترمون مثل ليوبولد فون رانكه وجاكوب بيركهاردت الاسلام بعنف كأنهم كانوا يتعاملون لا مع تجريد من التشبيه التجسيمي بل مع ثقافة سيا-دينية يمكن إصدار تعميمات عميقة حولها واعتبارها مسوغة .

رانكه في كتابه تاريخ العالم 1881-1922 تحدث عن الاسلام واصفا هزيمته أمام الشعوب الجرمانية-الرومانية , وفي شذرات تاريخية (ملحوظات غير منشورة 1893) تحدث بيركهاردت عن الاسلام كشئ بائس عار وتافه :

See Johann W. Fuck, Islam as an Historical Problem in European Historiography since 1800 in Historians of the Middle East, ed

Bernard Lewis and P.M. Holt (London: .Oxford University Press, 1962) p.307

وقد قام أيضا بمثل هذه العمليات الفكرية بمهارة وحماسة أبلغ بكثير أوسفالد أسبنغلز الذي تملأ أفكاره حول شخصية مجوسية (المثل الاعلي عليها المسلم الشرقي) كتابة (تدهور الغرب 1918-1922) و كتاب علم تركيب الثقافات .

" نولدكه " أعلنها صراحة وبدون حياء عام 1887 أن خلاصة عمله كله كمستشرق كانت تأكيد رأيه في (المنزلة الوضيعة) للشعوب الشرقية :

.Ibid., p. 309

فقد كان نولدكه مثل كارل بكر هيلينى النزوع أظهر حبه لليونان بطريقة تثير الاستغراب وأظهار كره لاريب فيه للشرق الشرق الذي كان بعد كل حساب موضوع دراسته كباحث .

تقوم دراسة جاك فاردنبرغ القيمة والذكية جدا للاستشراق (الإسلام في مرآة الغرب) اكتناها لخمسة خبراء مهمين كصانعين لصورة معينة للاسلام واستعارة الصورة المرآة التى يستخدمها فاردنبرغ لوصف الاستشراق في آواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين دقيقة ملائمة , ففي عمل كل من المستشرقين البارزين الذين يدرسهم ثمة رؤيا للاسلام على درجة عالية من التحيز بل حتى من العدائية لدي أربعة منهم كما لو أن كل كاتب منهم رأي الاسلام انعكاسا لضعفه الخاص المختار , وقد كان كل منهم متفقها بعمق كما كان الإسلوب إسهامة فريدة .

وفي مجموعهم يمثل المستشرقونالخمسة الافضل والاقوي في تراث الاستشراق خلال الفترة الواقعة بين 1880 وسنوات مابينالحربين العالميتين , غير أن تقديرإغناز غولدتسيهر لتسامح الاسلام بإزاء الديانات الاخري أفسده كرهه لتشبيهيه

محمد التجسيمية وللاهوت الاسلام وفقه المرفرطين في الخارجية , كما أفسد اهتمام دنكن بلاك ماكدونالد بتقوي الاسلام وسنيته تصورهلما اعتبرهمسيحية الاسلام المهرطقة , أما كارل بكر فقد جعله فهمه الخاص لحضارة الاسلام يري هذهالحضاره بوصفها لا متطورة الي درجة مؤسية , كذلك قادت دراسات سي سنوك هيرغرونج التى بلغت درجة عاليةمن التشذيب واللطف للتصوف والفن الشعري فقد جعله الي درجة تثير الاستغراب الفضولي عاجزا عن ان يغفر للاسلام مأعتبره هو ثورة مناهج هؤلاء الكتاب تغدو في النهاية أقل أهمية من اجماعهم الاستشراقي على طبيعة الاسلام دونية كامنة .

معظم مستشرقي أواخر القرن التاسع عشر كانوا مشدودين الي بعضهم بعضا سياسيا كذلك , فقد انتقل سنوك هيرغرونج مباشرة من دراسته للاسلام ليشغل منصب مستشار للحكومة الهولندية في الشؤون الادارية لمستعمراتها الاندونيسية المسلمة , كما كان مكدونالد وماسينيون يستشاران على صعيد واسع من قبل الادارات الاستعمارية كخبيرين بالقضايا الاسلامية .

هؤلاء الباحثين الخمسة في وقت ما صاغوا رؤيا الاسلام كان لها تأثير واسع على الدوائر الحكومية عبر العالم الغربي بأكمله .
بالنسبة لكيرزن لم تكن الدراسات الشرقية كماليات فكرية بل كانت كما قال في مؤتمر عقد في مانشن هاوس حول المطالبة بخلق مدرسة للدراسات الشرقية :

" إلتزاما امبراطوريا عظيما ففي رأيي أن تأسيس مدرسة كهذه ((للدراسات الشرقية وهي المدرسة التى اصبحت فيما بعد مدرسة جامعة لندن للدراسات الشرقية والافريقية)) في لندن هو جزء ضروري من تأثيث الامبراطورية . إن الذين قضوا منا عددا من السنوات في الشرق بصفة أو بأخري والذين يعتبرون ذلك الجزء

الاعظم سعادة من حياتهم ويؤمنون بأن العمل الذي قاموا به هناك
كبيرا كان او صغيرا هو اسمي درجات المسؤولية التى يمكن أن
توضع علىعاتق انكليزي , ليشعرون بأن ثمة فجوة في اعداداتنا
القومية ينبغي بتأكيد ان تـَــسّــد , وأن أولئك الذين يشاركون من
العاملين في مدينة لندن في سد هذه الفجوة عن طريق الدعم
المالي او أي شكل آخر من العون الفعال والعملي يؤدون واجبا
وطنيا تجاه الامبراطورية ويعلون شأنقضية الانسان والمشاعر
الطيبة بين بنى البشر".

Ibid , pp.184,191-2, For the history of the school, see C. G. Philips, The school of oriental and African studies, University of London, 1917-1967: An Introduction .((London : Design for print, 1967

يشبه تأسيس هذه المدرسة في نظري تأسيس دائرة جديدة
للمخابرات في بلد من بلداننا حيث تكمن نفس الاهداف بين هذه
وهذه تماما مع اختلاف بسيط في العناوين والمسميات فقط .
وقال كيزون مره (أن الشرق جامعة لايحصل الدارس فيها أبدا
على شهادته).
مفهوم الاستعمار عند ليروا-بوالو " فالاسعمار هو القوة
التوسعية لدي شعب ما وهو قدرته على إعادة انتاج نفسه , هو
اتساعه وتضاعفه عبر الفضاء هو إخضاع الكون أو جزء هائل
منه للغة ذلك الشعب وعاداته وافكاره وقوانينه " ص 229.
كان هناك ثمة طريقان أسلم بهما الاستشراق الشرق إلي الغرب
في أوائل هذا القرن كانت الأولي عن طريق مقدرات النشر التى
يمتلكها التعليم الحديث وجهازه الإنتشاري في المهن المتفقهه

والجامعات والجمعيات المحترفه والمنظمات الجغرافية والاستكشافية وصناعة النشر وقد بنت كل هذه الوسائل مأسماه سعيد بالاستشراق الكامن , مثلا حين تحدث بلفور امام مجلس العموم البريطانى سنة 1910 كان في ذهنه تلك المفاهيم والمقدرات في لغة عصره السائدة والمقبوله والصريحة دون لغة ابهام أيلغة واضحة ومفهومة له ولجميع من يستمع له , أما الطريقة الثانية فهي التى أسلم بها الاستشراق للغرب نتيجة لتقاطع هام فقد كان المستشرقون لعقود قد تحدثوا عن الشرق , وترجموا النصوص وفسروا الحضارات والخ...

لعب المستشرق دورا حاسما كعميل لحكومته أمثال إدوارد هنري بالمرو و هودي جي هوغارت مؤلف كتاب اختراق الجزيرة العربية وجرترودبل ولورنس وسانت جون فيلبي وغيرهم . الكومت دي كريساتى عام 1913 قال " سوريا هي شرق فرنسا الخاص ومحط المصالح الفرنسية السياسية والأخلاقية والأقتصادية وهي مصالح ينبغي الدفاع عنها فيهذا العصر من الامبريالية المتلاشية ".

2- اسلوب المعرفة الخابرة , الرؤية دنيوية الاستشراق:-

لم يكن بوسع أحد إلا الغربي مثلا أن يتحدث عن الشرقيين بالضبط كما كان الرجل الابيض هو القار على تخصيص الملونيين أو غير البيض وتسميهم. وقد نقل كل تقرير نطق به المستشرقون أو الرجال البيض إحساسا بالمسافة غير القابلة للتقليص التى تفصل الابيض عن الملون أو الغربي عن الشرقي وعلاوة فخلف كل تقرير كان يرن رجع تراث التجربة والمعرفة والتعلم الذي أبقي الشرقي الملون في مكانه كشي يقوم بدراسته الغربي – الابيض بدلا من العكس وحيث كان المرء في موقع القوة كما كان كرومر مثلا فان الشرقي كان ينتمي الي نظام القواعد الذي كان

مبدأة ببساطة التأكد من أنه لم يكن ليُسمح لشرقي أبدا بالاستقلال وحكم نفسة وكانت المقدمة المنطقية هنا هي أنه مادام الشرقيون جهلة بحكم الذات فان الافضل لمصلحتهم الخاصة أن يبقوا كذلك .
في صفحة 237 هناك ملاحظات لجرترود بل جديرة بالتوقف عندها وتفكيكها :-
"... وانطباعي هو أن سياسة اللورد كيرزن الحيوية في الخليج الفارسي وعلي حدود الهند مسؤولة عن قدر أكبر بكثير . ليس في وسع أنسان لايعرف الشرق أن يدرك كيف تتواشج الأمور كلها وتتماسك. وليس من المبالغة بمكانأن يقال إنه لو رُدت الحملة الانجليزية عن أبواب كابول لكان السائح الانجليزي قوبل بالتهجم في شوارع دمشق".
Gertrude Bell, From Her Personal Papers, 1889-1914, ed. Elizabeth Burgoyne .(London: Ernest Benn, 1958) p.204

يبدو أنهم مازالو حتى اللحظة لايعرفون شيئا عن الشرق ولا عن هذا التواشج بين أقطارة هذا التواشج الذي يتجلي الان بتقاطر المقاتلين العرب للقتال في العراق وافغانستان والشيشان بل وصل هذه التواشج لاوربا نفسها في البوسنة ... هل هو الجسد الاسلامي الثقافي الممتد من كابل لدمشق إذن ؟
كتب لورانس كتابا مهما أسماه " أعمدة الحكمة السبعة " تحدث فيه عن الثورة العربية ضد العثمانيين وطبعا لورنس من أكثر المستشارين قربا وتفانيا وخدمة لحكومته الاستعمارية بريطانيا

وكان أداه فعاله في ترسيخ الوجود البريطانى في الشرق الاوسط فقد أدي دورة بكل تفان وإتقان .

ركز سعيد في هذا القسم من الكتاب على الوسطاء الامبرياليين وصانعي السياسية بدلا من الباحثين فقد كانذلك بهدف تعميق إبراز النقلة الرئيسية في الاستشراق والمعرفة بالشرق والتفاعل معه من موقف جامعي إلي موقف أدائي ويصاحب هذه النقلة تغير في الموقف كما يصاحبها تغير في المستشرق الفرد أيضا الذي ماعاد يري نفسه كلين وساسي ورينان وسواهم وكأنه ينتمي إلي مجتمع نقابي له طقوسه الخاصة فقد اصبح المستشرق الأن الإنسان الممثل لثقافته الغربية ورسميا يري المستشرق نفسه بأنه يحقق وحدة بين الغرب والشرق إنما بصورة رئيسية عن طريق تأكيد تفوق الغرب .

قد حمل الاستشراق الحديث في ذاته معالم خوف الأوربيين من الاسلام وقد زاد ذلك حدة التحديات السياسية بعد الحربين .

- الإستشراق الانجلو فرنسي الحديث في ذروة الإزدهار:-

4- المرحلة الأخيرة : يتكلم سعيد في هذه الفقرة عن صورة العربي في أمريكيا خاصة بعد حرب 1973 وحظر النفط , صورة العربي عبارة عن شيخ يقف أمام محطة بنزين , العرب مقرونة صورهم بالجمل وبئر النفط وارتفاع سعر البنزين .

السؤال الشعبي المطروح في أغلب الأحيان هولماذا يمتلك بشر كهؤلاء العرب حق إبقاء العالم المتطور (الحر) الديمقراطي الأخلاقي مهددا ؟

ومن أسئلة كهذه ينبع الإقتراح المتكرر بأن تقوم قوات من الجيش الأمريكي المارينز باحتلال حقول النفط العربية , إذن فهذه هي الخطوات التى تسبق عمل عسكري في الشرق , تبدأ بتأليب الناس وشحنهم معنويا ورفع شعارات ذات مغزي معين ضد الشرق او الهدف المنشود وتبدأ الماكنة الاعلامية بكل خبث في العمل ليلا نهارا وسرا وجهارا من أجل ترسيخ هذه المفاهيم , بعدها يكون عمل السياسين سهلا جدا في إتخاذ قرار بإرسال أبنائهم للقتال في الشرق واحتلال منابع النفط.

في الأفلام والتلفاز يرتبط العربي إما بالفسق وإما بالغدر والخديعة المتعطشة للدم ويظهر منحلا ذو طاقة جنسية مفرطة قديرا دون شك على المكيدة البارعة المراوغة لكنه جوهريا ساديا خؤون منحط تاجر رقيق راكب جمال وغد متعد الظلال هذه هي بعض الأدوار التقليدية للعربي في السينما .

تنشر الكتب والمقالات بانتظام عن الاسلام والعرب دون أن تمثل تغيرا اطلاقا بالقياس إلي المماحكات الزعاف التنسادت القرون الوسطي وعصر النهضة , ولايصدق علي أية مجموعة عرقية او دينية سوي العرب أن أي شئ يمكن عمليا أن يقال أو يكتب عنها دون تحد أو أحتجاج . لقد قال دليل المسافات لعام 1975 الذي وضعه طلاب الاجازة في كلية كولومبيا عن برنامج اللغة العربية أن كل لفظة في اللغة ذات علاقة ما بالعنف وأن العقل العربي كما ينعكس في اللغة تبجحي دون أنقطاع . وبلغت مقالة قريبة العهد كتبتها إيميت تيرل في مجلة هاربر درجة أعلي من القذف والتجريح والعنصرية العرقية إذ طرحت منظومة تقول:

" إن العرب أساسا قتلة وان العنف والخديعة محمولان في المورثات العربية "

R. Emmett Tyrell, Jr., 'Chimera in the Middle East' Harper's November 1976, .pp35-8

ويكشف مسح دراسي بعنوان العرب في الكتب الدراسية الآمريكية معلومات خاطئة الي الحد الأقصي من الأدهاش أو بالاحري تمثيلات علي درجة قصوي من الفظاظة لمجموعة عرقية دينية . إذ يؤكد أحد هذه الكتب" أن القلة من أهل هذه المنطقة العربية يعرفون أن ثمة طريقة أفضل للحياة " ثم يتابع سائلا ببراءة سلابة " ماالذي يربط بين شعوب الشرق الأوسط ؟" والجواب

دونتردد هو " أن الرباط النهائي هو عدائية العرب وكرههم لليهود وللأمة الاسرائيلية ". لاحظ إذا أن كرهنا المزعوم لليهود كيهود هو المحك في كثير من الحالات ويكشف منهم بالضبط خلف هذه الحملات الاعلامية المغرضة ضد العرب والمسلمين , وفي كتاب آخر عن الاسلام " بدأ الدين الاسلامي المسمي الاسلام في الرن السابع وقد بدأه رجل أعمال ثري من شبه الجزيرة العربية يدعي محمد (صلي الله عليه وسلم) وقد إدعي أنه نبي ووجد ابتاعا بينالعرب الأخرين وأخبرهم بأنهم أختيروا لكي يحكموا العالم " ثم يكمل " بعد موت محمد (صلي الله عليم وسلم) بقليل سُجلت تعاليمه في كتاب يدعي القرآن وصار الكتاب المقدس للاسلام ".

هذه أفكار خام تتلقي الدعم لا النقض من قبل الجامعي الذي يمتهن دراسة الشرق الادنى العربي خذ مثلا التقرير الذي أنتجه عام 1967 مورو بيرغر وهو أستاذ لعلم الاجتماع ودراسات الشرق الأدنى في برنستن بتوصية من وزارة الصحة التعليم والضمان الاجتماعي الامريكية وكان بيرغر يومها رئيس رابطة دراسات الشرق الاوسط وهي الرابطة المهنية التى تأسست عام 1967 لباحثين معنيين بجميع جوانب الشرق الأدنى " إن منطقة الشرق الأوسط وشمالي أفريقيا الحديثة ليست مركزا للانجازات الثقافية العظيمة ولايحتمل أن تغدو كذلك في المستقبل القريب ومن ثم فان دراسة هذه المنطقة ولغاتها لاتكون المكافأة المرجوة منها بذاتها فيما يتعلق بالثقافة الحديثة ... وهكذا فان الشرق الاوسط المعاصر لايمتكل الا في صورة مصغرة نمط الخصائص التى تبدو مهمة لاجتذاب الاهتمام البحثي ".

وهذه رساله وجهها حاييم وايزمن الي آرثر بلفور في 30 أيار 1918 يقول فيها :-

"إن العرب المهرة سطحيا وسريعي البديهة والفطنة يعبدون شيئا واحدا وشيئا واحدا وحسب القوة والنجاح ... وعلي السلطات البريطانية وهي التى تعرف الطبيعة الغادرة للعرب ... أن تراقب بحذر وبصورة دائمة وبمقدار مايحاول الحكم الانجليزي أن يكون عادلا بمقدار مايزداد العرب تعجرفا وعطرسة ...
إن الوضع الحاضر للأمور ليميل لاالضرورة باتجاه خلق فلسطين عربية لو كان ثمة شعب عربي (لاحظ هنا مقولة أن فلسطين أرض بلا شعب التى رددها اليهود حتى صدقها العالم أنذالك وصدقوها هم أنفسهم) في فلسطين غير أن هذا الوضع لن يؤدي في الواقع الي تلك النتيجة لان الفلاح متأخر عن الأزمنة الحاضرة باربعة قرون على الاقل ولأن الافندي ... مخادع غشوش جاهل نهم ولا وطنى بقدر ماهو غير كفؤ"

Cited in Ingrams, Palestine papers, 1917-1922, pp.31-2.

فما من باحث عربي أو إسلامي يستطيع المخاطرة بتجاهل مايحدث في المجلات البحثية والمعاهد والجامعات في أمريكيا وأوربا غير أن العكس ليس بصحيح وليس هناك مثلا مجلة بحثية واحده للدراسات العربية تصدر في العالم العربي اليوم , بالضبط كما انه ليس ثمة مؤسسة تعليمية عربية واحدة قادرة على مضاهاة أماكن مثل إكسفورد وهارفارد وجامعة كاليفورنيا ولوس أنجلس في دراسة العالم العربي دع عنك أي موضوع آخر غير شرقي والنتيجة المتوقعة لهذا كله هي أن الطلاب الشرقيين والاساتذة الشرقيين مازالوا يريدون الحضور إلي الولايات المتحدة والجلوس عند أقدام المستشرقيين الامريكيين ثم العودة فيما بعد لتكرار الشعيرات اللغوية التى مافتئت أصفها بأنها مذهبيات جامدة استشراقية على مسامع جمهورهم المحلي ,

ونظام إعادة انتاج كهذا يجعل من الحتمي أن يستخدم الباحث الشرقي تدريبه الامريكي ليشعر بالفوقية على أبناء وطنه لانه قادر على (تدبر) النظام الاستشراقي وفهمه واستخدامه ,أما في علاقته بمن هم أسمي منه مكانة المستشرقين الاوربيينوالامريكيين فانه سيبقي ((((المخبر الذي ينتمي إلي السكان الأصليين)))). وهذا هو بحق دورة في الغرب إذا كان من حسن الحظ بحيث يتاح له البقاء فيه بعد انهاء تدريبه المتقدم .

هذه الفقرة السابقة في نظري كانت من أقوي وأروع الافكار في كتاب سعيد كله .. عبرت عن غيرة هذه الرجل وغضبة من هواننا وذلنا المكرس حتى هذه اللحظة ... نضرب أكباد الابل إلي جامعاتهم خلف المحيطات من أجل أن نجلس تحت أقدام مستشرق أمريكي (حاقد جاهل متعجرف لم يكن إلا أداه استعمارية لتنفيذ خطه استعمارية وضعها بلده الاستعماري كل افكارة عن الشرق مسخرة لخدمة هذه الفكرة , مشحون بروح التعالي والتفوق وينظر لنا في اعماق نفسه نظرة دونية لاتخلو من الحسد و شهوة الانتقام) نجلس عند اقدامهم لنتلقي رأيهم فينا وفي ثقافتنا وديننا وأحوالنا , ثم نضطر لاقتباس مراجع منهم لمستشرقين سابقين لايقلون عداء وحقاره عن هؤلاء أمثال دانتى وماركس وشوبان وبلفور وسواهم ثم نضع هذه الاقتباسات في ابحاثنا حتى يباركها هؤلاء المستشرقين الجدد (دكاترة الجامعة) علهم يتعطفون علينا بدرجة تؤهلنا للنجاح .. هذا النجاح الذي يعتمد في حالات كثيرة على قدرتك على الانسلاخ من جلدك ودينك وثقافتك وتبنى الرأي الاخر (وقد فعل ذلك الكثيرين من أجل الشهادة المنشودة) وإن فترت أو توانيت عن ذكر مصدر ما او رفضت فكرة ما او تحليل ما لمستشرق منحط من هؤلاء في بحث كتبته أو نقاش تهورت فيه فقلت مافي قلبك بسذاجة شديدة مكنت من حولك من

وضع علامة أكس عليك وتصنيفك , فحولت الانظار إليك بأنك إما إرهابي تؤمن بالصدام مع الغرب ونشر الاسلام عنوة وإقامة صرح حضارتك على أنقاض حضارتهم (هكذا هم يتصورن) او جاهل منغلق التفكير ومحدود القدرة على الفهم غير حضاري ولاتستبعد أن يحول دكتورك في الجامعة إلي الأجهزة الأمنية ليتم مراقبتك والتأكد من كونك لا تتبع أي منظمة أرهابية , ثم بعد أن يمن عليك معالي الدكتور بشهادة الدكتوراه مشكورا , كما قال لك سعيد أن كنت محظوظا وسمح لك بالاقامة في أوربا او أمريكيا ستعمل بوظيفة (المخبر الذي ينتمي إلي السكان الأصليين) ومهما تفانيت في هذه المهمة يظل الاستشراق وتظل النظرة هي نفس النظرة وانت مجرد حالة شاذة من الوعي في محيط جاهل ومنحط من الشرقيين تمكنت من أن تنهض بنفسك قليلا ورغم ذلك أيضا لن ينظروا لك بنفس النظرة التى ينظرون بها للامريكي الابيض او الاوربي الابيض الذي يحمل نفس ماتحمل من تخصص .

أما أن عدت إلي بلدك فلن تعمل بوظيفة أكثر من وظيفة مدرس لغة أنجليزية أما ماقرأته من كتب وأبحاث عن ماقله فلان وفلانتان من مستشرق ومستغرب فهذه المعلومات كلها ستبقي لديك مجرد معلومات شخصية وثقافة شخصية أو تجربة شخصية لا أقل أو أكثر .. يعنى لو كنت قد توجهت لدراسة الادب الانجليزي او التاريخ او فلسفة أو ماشابه ذلك لكان ذلك أفضل لك .. فعلي الأقل ليست هذه العلوم مسيسة (وان كان بعضها إلي حد ما كالتاريخ) كما هي الفكرة في الاستشراق وليس فيها مصادر ومراجع شديدي الحقد على العرب والمسلمين انت مضطر لمحاباتهم والرضوخ والاستماع لما يقولون ... أتخيلك وانت عائد إلي بلدك وبعد حلوي الشهادة والذبائح والعزائم يسألك أحد

البسطاء في القرية .. طيب شو كانت دراستك هناك ياخال ؟ والله ياعمي كانت اطروحة الدكتواره تبعتى في الاستشراق . شو شو.. شو هاظ الاستشراق ؟ الاستشراق يعنى ياعمي فكرة الغربين عن الشرق شو بحكوا عنا شو بفكرة فينا شو الصورة إلي هم ماخذينها عنا ... ويرد عليك صاحبنا بفتور .. طيب وهما شو ماخذين فكرة عنا ... هنا إن قلت له ماقاله فطاحل الغرب ماركس وهيغل وشوبان وبلفور والخ... وقلت له ماهي فكرة الغرب عنا الشرقيين ... لاشك أن صاحبنا وباقي المهنئيين سيهزون رؤوسهم أسفا عليك وعلى المال والوقت الذي تم صرفة من أجل هذا ....

إن كان ولابد من اقتحام هذا المجال والتلذذ بهذه الدراسة (وهي حقا لذيذة وأنا هنا لا أسخر) فلا بأس أن تتلقاها على يد أحد طلاب سعيد إن كان قد تبقي منهم أحد في جامعة كولومبيا .... وإلا فلا ... بريطانيا من أسوأ دول أوربا في الدراسات الشرقية وخريجيها إما جواسيس على بلادهم (كما وصفهم سعيد بالضبط) او مجرد أبواق تنعق باتساق مع مصالح الغرب في بلادنا ... بل هم أشد وطأة علينا من الغربيين أنفسهم .

لاني أعتقد والله أعلم أن هؤلاء المساكين الذين يتركون بلادهم قاصدين الغرب ويتحملون معاناة الغربة ويخسرون الوقت والمال من أجل دراسة الاستشراق هم كمن يقصد كليات الأعاجم وغير الناطقين بالعربية من أجل أن يتلقي منهم أصول تجويد القرآن الكريم أو فقه اللغة العربية . أو كمن يتعلم الشريعة الاسلامية في جامعة تل أبيب .

يمثل العرب مستهلكين شديدي التنوع لعدد هائل من منتجات الولايات المتحدة ,المادية والعقائدية . وقد كان لهذا عواقب كثيرة ثمة عملية تسوية هائلة للذوق في المنطقة ,متجسدة لا في

الترانزستورات والجينز الزرقاء والكوكا كولا وحسب بل كذلكفي الصور الثقافية للشرق التى توفرها وسائل الاعلام الامريكية وتستهلكها دون تفكير جماهير التلفاز الضخمة . وليست المفارقة الضدية المتجسدة في أن يعتبر عربي نفسه (عربيا) من النمط الذي تنتجه وتسوقه هوليوود سوي النتيجة الأكثر بساطة لما أشير إلية .

هذا عرض سريع لاقوال مستشرقين وكتاب عظماء في الغرب كان سعيد قد تطرق إلي ذكر البعض منهم مستشهدا بأقوالهم وبعضهم الاخر استشهد بهم سعيد في كتابة الرائع الثانى (الثقافة والأمبريالية) الذي توسع فيه في التحلي و تفكيك ماقاله هؤلاء عن الشرق :

- هيغل الألمانى أحد أعمدة الفلسفة في القرن التاسع عشر يري " أن قدر الشرق أن يتبع الغرب ..."

- كارل ماركس في الثامن عشر من بروميير الخاص بلويس بونابارت" إنهم لايستطيعون أن يمثلوا أنفسهم , إنهم يجب أن يُمثلوا..." وكان له رأيا عجيبا في الاستعمار الانجليزي للهند, فهو على الرغم من أنه نعته بأنه " مدفوع بأكثر المصالح قذارة إلا إنه كان يري فيه رسالة إيحائية تجديدية يقول (إن علي انجلترا أن تحقق في الهند رسالة مزدوجة الاولي تدميرية والثانية إحيائية تجديدية أفناء المجتمع الاسيوي وإرساء الأسس المادية للمجتمع الغربي في آسيا ... ويري في هذا العمل بالرغم مما فيه من تعذيب وافتراس لارواح لاتحصي فإنه يهبنا متعة أعظم على حد قول جوته وهو يستشهد به ...) . للعلم كان عدد سكان الهند وقتها 300 مليون نسمه .

- اعتمد سعيد على أفكار جرامشي الخاصة بهيمنة ثقافة على ثقافة أخري في نظريته الخاصة باستعلاء الثقافة الأوربية علي

غيرها من الثقافات الأخري.
- الشاعر البريطانى كيبلنغ ... وسعادته بأن يطأ الرجل الابيض أرض الشرق الجديدة .
- كتاب هاجموا الاسلام بشكل مباشر منذ القرن الثانى عشر وحتى العشرين , لبارتلمي ديربيلو أواخر القرن السابع عشر يهاجم محمد صلي الله عليه وسلم , هنري بيرس كاتب آخر, دانتى في كتابه جحيم دانتي , المؤرخ الاوربي غيبون وحديثة عن الفتوحات الاسلامية , فوربييه في المجلد الكبيروصف مصر , اللورد كرومر المندوب البريطانى السامي في مصر في بدايات القرن العشرين يقول عن الشرقيين " إن الدقة كريهه بالنسبة للعقل الشرقي بينما الاوربي دو محاكاه عقلية دقيقة وتقرير للحقائق خال من أي إلتباس وهو منطقي مطبوع " ويستمر قائلا " يظهر الشرقيون سذجاَ غافلين محرومين من الحيوية والقدرة على المبادرة مجبولين على الإطراء الباذخ والدسيسه والدهاء والقسوة على الحيوانات والشرقيون عريقون في الكذب وهم كسالي سيئوا الظن وهم في كل شئ على طرف نقيض من العرق الأنجلو سكسونى في وضوحه ومباشرته ونبله " انتهي كلامه يلعنه الله .
- والترسكوت في رواية الطلسم في القرن التاسع عشر وقوله أن المسلم ينحدر من سلالة الشيطان والخ...
- كارل بكر المستشرق الامريكي " رغم أن الاسلام ورث التراث الهيلينى فإنه لم يكن قادرا على أن يفهم أو يستخدم التراث اليونانى الانساني ...وعلاوة على ذلك فمن أجل أن يفهم المرء الاسلام عليه قبل كل شئ أن يعاينه لابوصفه دينا أصيلا بل بوصفه شيئا من محاولة شرقية فاشلة لاستخدام الفلسفة اليونانية في غيبة الإلهام الخلاق الذي نجده في أوربا عصر النهضة".

- لويس ماسينون أعظم المستشرقين الفرنسيين شهرة وتأثيرا يري أن أعظم رجال الاسلام لم يكن محمدا صلي الله عليه وسلم أو بن رشد بل هو الحلاج القديس المسلم الذي صلبه المسلمون السنيون لجرأته على شخصنة الاسلام وهو يقصد بهذه الشخصنه ذلك النوع من التجسد المسيحي للإله الذي يلاحظ ماسينون أن الاسلام يرفضه رفضا منظما ".

- في رسالة رينان الاولي " من أجل أن يفهم الاسلام فهما أفضل ينبغي أن يُقلص إلي الخيمة والقبيلة ".

- توماس كارليل الذي يُستشهد به في مجال الانصاف للاسلام بناء على ماكتبه في "الابطال" عن محمد صلي الله عليه وسلم إلا انه كان يري أن محمدا صلي الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن وأن القرآن هو خليط مهلهل مشوش ممل خام مسغلق تكرار لانهاية له واسهاب واطناب وماظلة خام إلي أقصي الدرجات ".

- شاتوبريان في كتابه رحلة من باريس الي القدس 1810-1811 يتحدث عن القرآن بأنه لم يحتو على أي مبدأ للحضارة أو أي تعليم يسمو بالشخصية ثم يتمادي هذا المستشرق ليمجد الحرب الصليبية باعتبار إنها " لم تدر حول انقاذ كنيسة القيامة فحسب بل دارت حول معرفة من سينتصر مذهب تعبدي هو عدو الحضاره مبحذ باطراد للجله واللطغيان وللعبودية أم المذهب التعبدي الاخر ويقصد مذهبهم ". ويري شاتو بريان " الشرقيون وخصوصا المسلمين لايعرفون شيئا عن الحرية ولا يعرفون شيئا من الاحتشام ليس لديهم شئ القوة هي ربهم ".

- ليوبولدفون رانكه و جاكوب بيركهاردت هاجما الاسلام بعنف حيث تحدث رانكه في كتابه تاريخ العالم (1881-1888) عن الاسلام ليصنف هزيمته أمام الشعوب الجرمانية الرومانية وفي "شذرات تاريخية " 1893 تحدث بيركهاردت عن الاسلام كشئ

بائس عار تافه ...

- أوستفالد أشبيجلر في كتابه تدهور الغرب 1918-1922 قدح وذم في الاسلام والمسلمين .

- نول دكة يعلن عام 1887 أن خلاصة عملة كمستشرق كانت تأكيد رأيه في " المنزلة الوضيعة للشعوب الشرقية ".

- جاك فاردنبرج في دراسته "الاسلام في مرآة الغرب " يقدم دراسة لخمسة خبراء مستشرقيين أجمعوا كلهم على أن طبيعة الاسلام طبيعه دونية كامنة .

- يبلور ماكدونالد ميز الشرقي المسلم في " فقدان الحس بالقانون فبالنسبة إلية ليس ثمة نظام مرتب للطبيعة راسخ لايتزحزح ".

فون جرونباوم : الاسلام ضد أنسانى عاجز عن التطور ومعرفة الذات والموضوعية إضافة غلي كونه عقيما غير خلاق لا عليا وسلطويا .

الكونت دوكريساتي ينظر إلي سوريا باعتبارها شرق فرنسا الخاص في محاضرة ألقاها عام 1913 وكاني يطرح أيضا إذا كان لفرنسا أن تستمر في منع عودة الاسلام فقد كان من الخير لها أن تحتل الشرق وقد كرر هذه الأراء في مناسبات كثيرة وهو ماورثته الولايات المتحده في خطتها لمواجهة الاسلام في الوقت الحاضر من خلال شعارات مكافحة الارهاب .

- فالنتاين شيرول في جامعة شيكاغو عام 1924 وهو رجل صحافة معروف يقول " أن المحمدية هي أحد القوي العالمية العظيمة المسؤولة عن أعمق خطوط الانقسام في العالم ".

- جولد زيهر Goldizher 1850-1920 مجري يهودي من كتبه تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي , والعقيدة والشريعة , وقد أصبح زعيم الاسلاميات في أوربا بلا منازع .

- جون مينارد Maynard J أمريكي متعصب من محرري مجلة الاسلاميات.

- س . م. زويمر S.M. Zweimer مبشر أمريكي مؤسس

مجلة العالم الاسلامي الامريكية له كتاب " الاسلام تحد لعقيدة "
." صدر عام 1908 وله كتاب " الاسلام
ألمانى G. Von. Grunbaum غ . فون . غرونباوم -
يهودي مدرس في جامعات أمريكية له كتاب الاعياد المحمدية
.1951 ودراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية 1954
عدو الاسلام له كتاب A. J. Wensink أ . ج . فينسيك -
عقيدة الاسلام 1932 وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث
.النبوي في لغته الاولي
أمريكي متعصب له كتاب دعوة K . Gragg كينيث كراج -
المئذنة 1956
مبشر فرنسي له كتاب L . Massignon لوي ماسينيون -
.الحلاج الصوفي شهيد الاسلام 1922
مبشر أمريكي له Macdonald . D. B د . ب مكدونالد -
كتاب تطور علم الكلام – والفقه والنظرية الدستورية 1930 وله
. المقف الدينى والحياة في الاسلام 1908
سكرتير تحرير مجلة الشرق الاوسط M. Green مايلز جرين -
.
انجليزي D.S Margoliouth 1881940 مرجليوث -
متعصب من مدرسة طه حسين واحمد أمين له كتاب التطورات
.المبكرة في الاسلام 1905 وله الجامعة الاسلامية صدر 1912
فرنسي من Baron Carrade Voux بارون كارادي -
. محرري دائرة المعارف الاسلامية
انجليزي من كتبه H. A. R. Gibb 1895 – 1965 ه. جب -
.المذهب المحمدي 1947 والاتجاهات الحديثة في الاسلام 1947
انجليزي ينكر ان يكون R.A. Nicholson ر. أ . نيلولسون -
الاسلام دينا روحيا وينعته بالمادية وعدم السمو الانسانى له كتب
. متصوفوا الاسلام 1910 وله التاريخ الادبي للعرب 1930
H . Lammans 1872-1937 هنري لامنس اليسوعي -
فرنسي متعصب له كتاب الاسلام وله كتاب الطائف , وهو من
. محرري دائرة المعارف الاسلامية

- جوزيف شاخت **J. Schacht** ألمانى متعصب ضد الاسلام له كتاب أصول الفقه الاسلامي .
- الفرد جيوم **A. Geom** انجليزي متعصب له كتاب " الاسلام " .
- جورج سل **G. Sale 1736** رغم في كتابه ترجمة لمعانى القرآن أن القرآن من تأليف محمد صلي الله عليه وسلم .
- ريتشارد بل **Richard Bell** يزعم أن النبي صلي الله عليه وسلم أستمد القرآن من مصادر يهودية .
- الجنرال ويليم بوبكين نائب وكيل وزارة الدفاع الامريكية لشؤون المخابرات صرح في أحدي الكنائس قائلا بلباسه العسكري إنهم يريدون تدميرنا لاننا شعب مسيحي ... إن إلهنا حقيقي أما إله المسلمين فهو مجرد وثن

من هو برنارد لويس؟ Bernard Lewis

" برنارد لويس : البريطاني الأصل ، الامريكي الموطن (1916م) واحدٌ من أشهر وأخطر المستشرقين المعاصرين في الكتابة عن القضايا الإسلامية 000إلى أن تقول المجلة "وأهمية الدراسة تعود إلى أهمية القضية التي تتناولها إذ هي قضية الساعة لدى المسلمين الواعين ولدى أعدائهم على السواء، وإلى أهمية الكاتب وطول خبرته في هذا الميدان ، وإلى قدرته الواضحة على توفير المعلومات وتنظيمها ليثير من خلال ذلك قضايا حساسة."

ولد برنارد لويس في لندن عام 1916م(1334هـ)، حصل على الشهادة الجامعية من جامعة لندن عام 1936م(1355هـ)

وهو لم يتجاوز العشرين، ودرس في باريس سنتين مع المستشرق الفرنسي لويس ماسنيون وغيره، ثم عاد إلى بريطانيا ليحصل على الدكتوراه عام 1936م(1358هـ) عن رسالته بعنوان (أصول الإسماعيلية) تحت إشراف المستشرق هاملتون جب. له عدد كبير من البحوث والكتب والمقالات الصحفية . من أشهر كتبه (العرب في التاريخ) وقد أعيد طبعه سبع مرات. و(ظهور تركيا الحديثة) و(استنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية) و(الغرب والشرق الأوسط) و (العرق واللون في الإسلام) و(يهود الإسلام) والحشاشون فرقة ثورية في الإسلام وآخر كتبه (اللغة السياسية في الإسلام)

عمل لويس في جامعة لندن مدرساً في قسم التاريخ- مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية- حتى ترأس هذا القسم في أول أكتوبر 1957م(1266هـ) وظل رئيساً له مدة خمسة عشر عاماً حتى انتقل إلى قسم دراسات الشرق الأدني بجامعة برنستون بولاية نيوجرسي الأمريكية عام 1973 م(1394هـ) بالإضافة إلى عضويته الدائمة في معهد برنستون للدراسات المتقدمة وهو المعهد الذي كان يعمل فيه ألبرت إينشتين صاحب النظرية النسبية.

حصل لويس على الجنسية الأمريكية عام 1982م وهو الآن أستاذ متقاعد ، ولكنه مازال يحتفظ بمكانته العلمية في الجامعة ، وقد أصبح عام 1986 مديراً مشاركاً لمعهد بحوث أننبرج للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى بمدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا.

هذا وأشرف لويس على العشرات من الطلاب العرب والمسلمين وغيرهم. وكانت معاملته لهم راقية جداً حتى إنه كان نادراً ما

يشكو طالب من سلوكه معه على العكس كان الكثير من الطلبة يحبونه ويتعلقون به.. وملاحظة هامشية هنا إن لويس لا يفعل كما يفعل بعض المشرفين في بلادنا وفي بلادهم أيضاً حيث يصرون على أن مهمتهم هي عرقلة سير الطالب وملء حياته بالغم والكمد واستغلاله أسوأ استغلال. ونظراً ليهوديته وصهيونيته فلا بد أنه ضايق بعض الطلاب في اختيار موضوعات بحوثهم أو توجيهها وجهة معينة

: بقلم

ا.د.إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث –جامعة الموصل

صديق عزيز ، أتابع منذ فترة طويلة ، نشاطاته العلمية، ولي معه علاقة تبادل علمي .... هو جمال الدين بن فالح بن نصيف بن جاسم بن أحمد الحجية بن عبد الكريم بن عبد الرحيم بن خميس بن ولي الدين محمد بن عثمان بن يحيى بن حسام الدين بن نور الدين بن ولي الدين بن زين الدين الكبير بن شمس الدين بن شرف الدين بن محمد الهتاك بن عبدالعزيز بن الباز الاشهب الشيخ عبدالقادر الكيلاني بن ابي صالح موسى بن عبدالله الجيلي بن يحيى الزاهد بن محمد المدني بن داود امير مكة بن موسى الثاني بن عبدالله الصالح بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن اسدالله الغالب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم اجمعين،من الأسرة الكيلانية، ذرية الشيخ عبدالقادر الجيلاني)).

من مواليد 1972، ومنذ طفولته أولع بحب التاريخ ،و قراءة الكتب المتنوعة ،تأثر بوالده الأستاذ فالح الحجية الكيلاني –الأديب والشاعر،وأخذ عنه حب الأدب والمعرفة وتذوق الشعر،وبحكم نشأته في الخالص وعلاقة القرابة التي تربطه بالعلامة سالم عبود الالوسي ،تعرف بالعلامة مصطفى جواد وتراثه ،واهتم منذ بواكير حياته العلمية بالتراث القادري والذي بات تخصصه الدقيق،ويعد نفسه من تلاميذ الأستاذ الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ومدرسته التاريخية،مارس التدريس في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي ، كما حاضر في جامعة بغداد

والجامعة المستنصرية واتحاد المؤرخين العرب وجامعات القادسية والبصرة وواسط .

حصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من كلية التربية -ابن رشد -جامعة بغداد . كما نال شهادة (دبلوم)في اللغة الانكليزية من معهد المعلمين.

لم يقف عند هذا الحد ، بل غذ السير ، وأكمل دراسته وحصل على شهادة (دكتوراه) فلسفة في التاريخ الإسلامي من جامعة سانت كلمنتس العالمية. ولحبه التاريخ والدراسات التاريخية انتمى إلى" معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا التابع لاتحاد المؤرخين العرب ببغداد " ، وحصل على شهادة ماجستير آداب في التاريخ والحضارة العربية الإسلامية . حصل على لقب "باحث علمي" من مركز دراسات التاريخ والوثائق والمخطوطات سنة 1998 .

والدكتور الكيلاني عضو اتحاد المؤرخين العرب 1996وعضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب 1998 وعضو جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق 1995 وعضو (شرف) لجنة الدراسات القادرية المغرب 1997. مشرف مركز دراسات الإمام عبد القادر الجيلاني المتخصص بالتراث والتاريخ والأنساب القادرية 2011 .

كرم بالعديد من الشهادات التقديرية من المجمع العلمي العراقي

1996 والهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب 2000 ،والهيئة العامة للاثار 1997 وجامعة بغداد 1999 وغيرها.

اهتم بتاريخ الأنساب وشغل نفسه بهذا اللون المهم من الدراسات التي تحتاج إلى معرفة بأمور كثيرة .وقد أجيز في مجال دراسة وتدقيق الأنساب من ثلة من الأساتذة العراقيين المعروفين أمثال الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف والأستاذ سالم عبود الالوسي والأستاذ اللواء احمد خضر العباسي والأستاذ الشيخ خليل الدليمي والأستاذ جمال الراوي .ومنذئذ قام الدكتور الكيلاني بدراسة وتدقيق العشرات من شجرات النسب ومن كافة أنحاء العراق وبموجب كتب رسمية من الهيئة العربية لكتابة تاريخ الأنساب وغيرها ، ويفخر بأنه حضر عدة جلسات للعلماء الأعلام كل من الشيخ العلامة عبد الكريم محمد المدرس-مفتي الديار العراقية- والعلامة الدكتور حسين علي محفوظ والعلامة الدكتور علي الوردي و العلامة الدكتور حسين أمين-

كما أن لديه العديد من البحوث والدراسات والكتب .من كتبه المنشورة :كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني -تفسير جديد مراجعة الأستاذ الشاعر فالح الحجية الكيلاني ،مكتبة المصطفى ، القاهرة ،2009.وكتاب الشيخ عبد القادر الكيلاني رؤية تاريخية معاصرة تقديم الدكتور عماد عبد السلام رؤوف ،مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي – بغداد 2011. وهو بالاصل رسالة باشراف الدكتورة لقاء الطائي والدكتور رؤوف وكتاب " بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي , دراسة وتحقيق " ،تقديم الدكتور حسين أمين شيخ المؤرخين –نشر على نفقة السيد احمد الكيلاني ،الجزائر 2011 .وكتاب " أصول التاريخ الإسلامي " ،مراجعة الدكتور حسين علي محفوظ (مخطوط) 1999.وكتاب " تنقيحات دراسة تحليلية لنسب الإمام عبدالقادر الجيلاني" ، مراجعة الدكتور عبد القادر المعاضيدي (نشر محدود) منه نسخة محفوظة في المكتبة القادرية 1996. وكتاب" دراسات في

التاريخ الأوربي" ، تقديم الدكتور كمال مظهر احمد (معد للنشر).

ومن بحوثه ودراساته :عرض كتاب الإمام عبد القادر الجيلاني - تفسير جديد في مجلة فكر حر 2009.وعرض مخطوطة مهجة البهجة ومحجة اللهجة (كتاب) منشورة في جريدة الصباح 2005.ومقالة مصطفى جواد ومخطوطة نادرة عن الكيلاني جريدة الصباح 2006. ومقالة رشيد عالي الكيلاني ابن ديالى المشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة المقدادية أصل التسمية المنشورة في جريدة العراق 2002.ومقالة" الشرق الأوسط واصل التسمية" المنشورة في مجلة كلية الاداب جامعة عين شمس 2009.ومقالة عن " براغماتية السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب ",مجلة فكر حر 2009.ومقالة عن "الشيخ عبدالقادر الكيلاني: جيلان العراق لا جيلان طبرستان،مجلة كلية الآداب جامعة عين شمس 2009.وتفسير الجيلاني – دراسة في نسبة التفسير للمؤلف، مجلة رؤى 2010. و"المؤرخ هشام جعيط – دراسة في رؤيته للسيرة النبوية " ، مجلة رؤى 2010.

هذا فضلا عن عشرات المقالات المنشورة على شبكة الانترنت وضمن مواقع كثيرة ومن الموضوعات التي كتبها موضوعات ،عن عصر الرسالة وعصور الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين والعصر الحديث والمعاصر والشخصيات العربية والإسلامية وبعض الشخصيات الغربية ،مثل مقالات تدور حول الشيخ عبد القادر الجيلاني وذريته في العالم ،وأهمية ثورة الحسين في التاريخ العربي الإسلامي، و إبان بن عثمان المؤرخ المبكر،والإمام الغزالي، والإمام الرفاعي، والإمام أبو مدين ،والإمام البخاري ،والشيخ ابن تيمية وقوميته، والشريف البعقوبي،الامين والمأمون والميكافلية ،والطريقة القادرية المبكرة ،و معنى الباز الاشهب،و التراث الصوفي – دراسة أولية والإمام أبو إدريس البعقوبي، والمغول، وجنكيز خان، وهولاكو خان،

وتيمورلنك، والدولة الفاطمية وخلفاءها، وبغداد، وسمرقند، وكابول، ودلهي، والمقدادية أصل التسمية، والناصرية العراقية، والصويرة العراقية، والعزيزية العراقية، وال بابان، وال السعدون، ومحمد الفاتح ،وسليمان القانوني ،ومراد الرابع، وعبد الحميد الثاني، والشرق الأوسط ،والمكنا كارتا، وعبد القادر الجزائري، وجمال الدين الافغاني ،وعبد الكريم قاسم ،والحبوبي الشاعر والإمام، والسيد محمد باقر الصدر، والمؤرخ الدروبي وجهوده في تدوين تاريخ الأسرة القادرية في العهد العثماني، والرينسانس ،ومترنيخ، وبسمارك، وهتلر، وميكافللي والميكافلية، وونستون تشرشل، وجان جاك روسو ،والثورة الفرنسية، ولويس الرابع عشر ،ولويس السادس عشر، وماري انطوانيت ،ونابليون الأول ،ونابليون الثالث، وقراءة في كتاب- لينين-خطوة إلى الإمام خطوتان إلى الوراء، وتلخيص كتاب قصة الفلسفة للمؤرخ ويل ديورانت، وتاج محل ،والأزهر، والقرويين، وبدر شاكر السياب، و" الصراع السياسي والديني في اليمن قبل الإسلام -نجران نموذجا " .

درس التاريخ على أيدي العديد من أساتذة التاريخ في العراق منهم الأساتذة الدكاترة عماد عبد السلام رؤوف وكمال مظهر احمد وفاروق عمر ,وعبدالرزاق الانباري وعبد القادر المعاضيدي وخاشع المعاضيدي وعبد القادر الشيخلي وجعفر عباس حميدي ويقظان سعدون العامر وحمدان الكبيسي وقحطان عبد الستار الحديثي وهاشم يحيى الملاح وعبد الامير العكام وصادق ياسين الحلو ومفيد كاصد الزيدي ومحمد احمد الشحاذ وعبد الامير دكسن وعبد الجبار ناجي وفاروق عباس وهيب وخضير الجميلي وطارق نافع الحمداني ومحمد جاسم المشهداني ومحمد ياقر الحسيني ومزاحم علي عشيش البعاج وناهض عبدالرزاق القيسي ومحي هلال السرحان.

من آراءه" أن التاريخ لايعرف اليوم والأمس والغد وإنما هو نهر الحياة يمضي الى الاجل المضروب الذي قدره علام الغيوب، فالتاريخ كله تاريخ معاصر ،نعم له تقسيمات علمية، ولكنه يعيش معنا ويهمنا وعلينا أن نستفاد منه في حياتنا كلها ويستند في هذا الرأي على أن استقراء التاريخ خير من التجارب ،وان اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر ،يبدو ، امرا بعيدا عن الحقيقة والواقع لان التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها ببعض ، وان وقائع التاريخ الكبرى عائمات جليد طرفها ظاهر فوق الماء ، وكتلتها الرئيسية تحت سطحه ومن يريد استكشافها عليه أن يغوص في الأعماق،والفرق بيننا وبين الغرب اننا نعيش في التاريخ فقط وهم يفهمونه ويستغلونه لتحقيق مصالحهم،و التاريخ هو طريق الإنسانية الى الحضارة، لأنه ضوء ينير الماضي لرؤية الحاضر و المستقبل ، فجذور أنظمتنا السياسية ،والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعلمية ،تمتد عميقا في تربة الأجيال الماضية.".

ايميل الباحث:

jamalalgilany@gmail.com

jamaluden2010@gmail.com

مكتبة المصطفى للنشر

القاهرة 2011